الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة أحمد دراية – أدرار-

الكلية : العلوم الانسانية و الإجتماعية و العلوم الإسلامية **القسم** : العلوم الانسانية

الشعبة : تاريخ **التخصص :** الحديث و المعاصر

الرقم التسلسلي : **الرمز :**

التواصل العملي بين إيالتي الجزائر و تونس خلال العهد العثماني (من القرن 15 إلى 18 م)

" الرحلات و الطرق الصوفية أنموذجاً "

مذكرة مكملة لمتطلبات نيل شهادة الماستر في التاريخ

إعداد الطالبتين : **إشراف الأستاذ :**

- رجاء حمداوي - بلال صديقي
- صليحة أولاد المختار

أعضاء لجنة المناقشة

الرقم	إسم الأستاذ	الرتبة	الصفة
01	د/مبارك جعفري	محاضر (أ)	رئيساً
02	أ/ بلا صديقي	محاضر (ب)	مشرفاً و مقرراً
03	د/محمد بن سويسي	مساعد (أ)	ممتحن

السنة الجامعية : 1438- 1439 هـ / 2017- 2018 م

الدورة : ماي 2018 م

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهـــــداء

أحمد الله عز و جل على منه و عونه لإتمام هذا البحث

إلى الذي وهبني كل ما يملك حتى أحقق له آماله، إلى من كان يدفعني قدما نحو الأمام لنيل المبتغى "أبي الغالي" .

و إلى من كانت سندي في الشدائد ، و كانت دعواها لي بالتوفيق" أمي الحبيبة"، جزاهما الله عني خير الجزاء ،إليهما أهدي هذا العمل المتواضع.

إلى من تذوقت معهم أجمل لحظات الحياة إخواتي "حورية" و "مبروكة " و إلى كل الأحباب و الأقارب و صديقة دربي: "صليحة".

إلى أستاذي المشرف "صديقي بلال" أتمنى له النجاح و التألق أهدي إليكم رسالة الماستر داعية من المولى سبحانه و تعالى أن تكلل بالنجاح و القبول من جانب أعضاء لجنة المناقشة .

رجـــاء

الإهـــــداء

أهدي ثمرة هذا العمل إلى أعز من في الوجود بعد الله سبحانه و تعالى إلى قرة عيني أمي الغالية فاطمة و إلى أبي رحمه الله ، و إلى من ربياني صغيراً إلى العزيز على قلبي جدي وجدتي حفظهما الله و جزاهما عني خير الجزاء، إلى من شاركني حلو الحياة و مرها إخوتي "إبراهيم"- "عبد المالك" - و "إسماعيل"،وإلى رفيق دربي رزيق فله و لإسرته تحية و تقدير و إحترام، وإلى من سعدت برفقتها بإنجاز هذا العمل المثير زميلتي رجاء و جميع صديقاتي و زميلاتي.

صليحة

شكر و عرفان

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم { من صنع لكم معروفا فكافئوه فإن لم تجدوا ما تكافئوه به فادعوا له حتى تروا أنكم كافأتموه }

الشكر لله العلي القدير و إنه ليسعدنا و يشرفنا أن نتقدم بالشكر الجزيل و كامل التقدير للأستاذ بلال صديقي أولاً على قبوله الإشراف على هذا العمل ، و ثانياً النصائح و التوجيهات و التوصيات القيمة من طرفه، و التي ساعدتنا كثيراً في تذليل الصعوبات خلال فترة البحث، و لم يبخل علينا بوقته الثمين، فكان نعم المشرف فجزاه الله عنا كل الجزاء.

كما نتقدم بالشكر إلى كافة الأساتذة في قسم التاريخ ، كما لا ننسى تقديم خالص الشكر الجزيل لأعضاء اللجنة الموقرة الذين سيناقشون المذكرة و أشكرهم على كل الإرشادات التي سيقدمونها لنا من خلال المناقشة.

و إلى كل من ساعدنا من قريب أو بعيد على إنجاز هذا العمل

قائمة المختصرات :

تح	تحقيق
تع	تعريب
تر	ترجمة
د.ط	دون طبعة
د.ت	دون تاريخ
د.م.ن	دون مكان النشر
ش.و.ن.ت	الشركة الوطنية للنشر و التوزيع
ط.خ	طبعة خاصة

مقدمة

إن العهد العثماني مثل منعطفاً هاماً في تاريخ الجزائر و تونس ، و ذلك لما تميز به من أحداث و ما شهده من تغيرات على الصعيد سياسي و علمي خصوصاً، و أن الحراك العلمي خلال فترة موضوع البحث، ساهمت فيه عوامل كثيرة و متعددة أبرزها –العلماء– الذين تحتم عليهم مواكبة هذه المعطيات و التطوارت التاريخية و الإدلاء بآرائهم كل حسب ثقافته و تكوينه أولاً ، و حسب توجهاته و الظروف المحيطة به ثانياً.

و لما كان الموضوع متشعباً و الأراء فيه متعددة ، إرتأينا أن يكون مجال دراستنا محاولين من خلالها الإلمام بظاهرة علمية ، ألا و هي رحلات العلماء و الطرق الصوفية المتبادلة بين إيالة الجزائر و تونس خلال الفترة المدروسة و عليه وقع إختيارنا على الموضوع المعنون بـــــ" التواصل العلمي بين الجزائر و تونس خلال العهد العثماني "رحلات و الطرق الصوفية أنموذجاً" من القرن(15–18م).

و تكمن أهمية الموضوع من خلال :

- التعرف على ماضي البلدين من الناحية العلمية ثم التعرف على أهم العلماء الجزائرين الذين زارو إيالة تونس و إسهاماتهم و العكس صحيح ، إضافة إلى أهم الطرق الصوفية الموجودة في الإيالتين .
- تقديم صورة واضحة و متكاملة عن الحياة الفكرية و العلمية في الإيالتين العثمانيتين.

هناك مجموعة من الأسباب التي دفعتنا لإختيار هذا الموضوع يمكن إيجازها في مايلي :

أ- دوافع ذاتية :

- الشغف و الإهتمام الكبير بدراسة التاريخ العثماني بالخصوص تاريخ الجزائر و تونس من القرن15 إلى 18م.

-إنتشار ظاهرة الرحلات و الطرق الصوفية الملفتة للإنتباه خلال فترة البحث و بالخصوص بين الجزائر و تونس.

- الميول الشخصي لدراسة الجوانب العلمية في تاريخ الجزائر العثمانية مع دول المغرب خاصة مع جارتها تونس .

ب- دوافع موضوعية :

- موضوع التواصل العلمي بين الجزائر و تونس في العهد العثماني من المواضيع التي تحتاج المزيد من الإهتمام و الدراسة و لهذا السبب تم إختيارنا لهذا الموضوع.

البحث يتمحور حول موضوع هام في حقل الدراسات التاريخية من الناحية العلمية ، و المتمثل في الرحلات العلمية و الطرق الصوفية المتبادلة بين إيالة الجزائر وتونس خلال العهد العثماني و إنطلاقاً من هذا حددنا الإشكالية التالية :

ما مدى مساهمة الرحلات و الطرق الصوفية في تجسيد حركة علمية بين الإيالتين خلال العهد العثماني ؟

و يتفرع عن هذه الإشكالية أسئلة فرعية منها :

ما هي العوامل المساعدة في تسهيل التواصل الفكري بين الإيالتين ؟

و ماهي أشهر الحواضر العلمية في كل من لإيالتين ؟

و ما هي أشهر الرحلات العلمية و الطرق الصوفية المتبادلة بين الإيالتين ؟

للإجابة عن هذه الإشكالية و الأسئلة المتفرعة عنها إعتمدنا على :

المنهج التاريخي : لأننا ندرس محطة هامة من تاريخ البلدين و علاقتهما ببعضهما البعض.

و تحت هذا المنهج تتدرج أدوات مساعدة منها :

المنهج الوصفي : لتقديم عرض شامل و دقيق عن الوضع السياسي و الحضاري و الثقافي بالإيالتين .

المنهج التحليلي :الذي يفسر العوامل و الأبعاد الحقيقية لهذه الرحلات و الطرق الصوفية.

لقد قسمنا هذه الدراسة إلى مقدمة و ثلاثة فصول و إنتهت بخاتمة .

المقدمة : عرفنا فيها الموضوع وأبرزنا أسباب إختياره و أهم العراقيل التي واجهتنا في البحث ، إضافة إلى بيان المصادر و المراجع المعتمدة في البحث و الخطة المعتمدة فيه ، و أيضاً ذكر الدراسات السابقة .

أما الفصل الأول : فيتضمن مقدمات أساسية عن البحث كالإطار الجغرافي لإيالتين ، كما يتضمن لمحة و جيزة عن الأوضاع السياسة و الثقافية و الحضارية للإيالتين خلال العهد العثماني.

أما الفصل الثاني : فكان بعنوان الحواضر العلمية في الإيالتين في الجزائر و تونس و خصصناه للحديث عن أهم المراكز العلمية المعروفة بالتواصل

العلمي و المتمثلة في المدارس و المساجد و الزوايا و الكتاتيب في كل الإيالتين .

أما الفصل الثالث: فكان بعنوان مظاهر التواصل العلمي بين الإيالتين خصصناه كذلك لأهم الرحلات بين علماء القطرين و أشهر الطرق الصوفية التي تبادلتها الإيالتين.

و أنهينا دراستنا بخاتمة تضمنت أهم النتائج التي تم التوصل إليها خلال البحث في التواصل العلمي بين الجزائر و تونس خلال العهد العثماني ، و أرفق البحث بملاحق لها علاقة بالمضمون .

و حتى ننجز هذا الموضوع إعتمدنا و سعينا إلى جمع ما أمكن من المصادر و المراجع أهمها :

إعتمدنا على كتاب التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية لمحمد بن ميمون الجزائري الذي تناول سيرة لمحمد بكداش الذي درس على يده أهم العلماء مثل إبن حمادوش عبد الرزاق .

كتاب معجم أعلام الجزائر لعادل نويهض الذي تناول فيه ترجمة لعلماء الجزائرين من القدم إلى الحديث .

و كذلك كتاب إتحاف أهل الزمان في أخبار ملوك تونس في عهد الأمان لإبن أبي الضياف وجدنا في هذا المصدر تاريخ تونس بالتفصيل في جميع الميادين .

و إستعنا كذلك برحلة إبن حمادوش الجزائري المسماة لسان المقال في النبأ عن النسب و الحسب و الحال لعبد الرزاق حمادوش أفادنا بكتاباته بإعتباره أهم رحالة في الفترة المدروسة .

كتاب تاريخ الجزائر الثقافي لأبو قاسم سعد الله بجزئيه الأول و الثاني

الجزء الأول تناول فيه أهم الرحلات للعلماء الحاضرتين و المراكز العلمية بشكل مفصل و دقيق ، و الجزء الثاني تناول فيه أشهر الطرق الصوفية.

كتاب أبو قاسم الحنفاوي الذي يعد من التراجم ، تناول هذا الكتاب التعريف بالعديد من الشخصيات التاريخية المهمة .

كتاب الحياة الثقافية في الجزائر خلال العهد العثماني لأحمد مريوش تتمثل أهمية هذا المرجع في كونه يعطي لنا مسحاً عاماً للمؤسسات الثقافية بالجزائر أثناء فترة تواجد العثماني من مساجد و مدارس و زوايا ، بالإضافة إلى تطرقه لتيارات التصوف في الجزائر خلال الفترة المدروسة.

كما إستفدنا كثيرا مما جاء في المجلات العلمية المختلفة على رأسها المجلة الدراسات التاريخية التي تحدثت كثيراً على تاريخ الجزائر في العهد العثماني عامةو المجلة التاريخية المغاربية التي تصدها مؤسسة التميمي للبحث العلمي بتونس من أبرز ما إعتمدنا عليها تناولت كماً غزيرا لمختلف الدراسات العثمانية الخاصة ببلاد العربية عامة و المغاربية خاصة .

كانت هناك دراسات سابقة تناولت الموضوع أهمها :

- رسالة ماجستير بعنوان العلاقات بين إيالتي الجزائر و تونس خلال القرن الثامن عشر من تأليف حصام صورية و أبرز ما فيها الوضع الثقافي لكل من الإيالتين مبينة أهم المراكز العلمية في كل حاضرة .
- رسالة ماجستير بعنوان العلاقات الجزائرية التونسية خلال عهد الدايات (1830/1711) من تأليف: كوثر العايب و التي قدمت فيها دراسة وافية

حول أهم الرحلات و الطرق الصوفية المتبادلة بين إيالتي الجزائري و التونسي.

لا تخلو أي دراسة من الصعوبات و قد إعترضت طريقنا بعض العراقيل و من أهم هذه الصعوبات :

- عدم توفر الكتب المتخصصة في الموضوع على مستوى جامعة أدرار
- شساعة و تنوع الجانب العلمي في فترة الجزائر العثمانية و علاقتها مع جيرانها آنذاك.
- تشابه المادة العلمية في كثير من المصادر التونسية من ناحية سرد و صياغة الوقائع و الأحداث.

و ما كان لنا أن ننجز بحثنا على هذه الصورة لولا الإرشادات التي تلقيناها من الأستاذ صديقي بلال الذي تفضل بقبول الإشراف على هذه المذكرة ، و قدم لنا توجيهات قيمة أنارت لنا الطريق، و نشكر في الختام كل أعضاء لجنة المناقشة الكرام و تقديمهم ما يفيدونا من ملاحظات قيمة .

الفصل الأول

العوامل المساهمة في التواصل العلمي بين الإيالتين

المبحث الأول : العوامل الجغرافية والسياسية

1-العامل الجغرافي

2-العامل السياسي

المبحث الثاني :العوامل الثقافية والحضارية

1-العامل الثقافي

2-العامل الحضاري

يمثل كل من الرصيد العلمي و الحضاري المشترك و الجغرافي و السياسي المتشابه بين الجزائر و تونس أهم العوامل المؤثرة في مسار علاقتهم حيث فرضت هذه الأخيرة على الجانبين إقامة علاقات متميزة ، فكان للعوامل المتشابهة تأثير في منحى علاقتهم من شأنه أن يوفر الإنسجام و التطابق بين شعوب القطرين و هو ما سنحاول الوقوف عليه في هذا الفصل .

المبحث الأول : العامل الجغرافي و السياسي

المطلب الأول: العامل الجغرافي

1-الإطار الجغرافي للجزائر:

تقع مدينة الجزائر في شمالي غربي إفريقيا و تمتد بين خطي عرض 19° و 41° و 37° شمالا من خط الإستواء ، و خطي الطول 2° غربي خط غرينيتش و 8° شرقي على الساحل ، تبلغ مساحتها حوالي 2,250,000 كلم^2 و تتوسط بلاد الجزائر أقاليم شمالي إفريقيا الغربي ، يحدها من الشمال حوض البحر الأبيض المتوسط ، و من الشرق تونس و صحراء ليبيا في جنوبها ، و من الجنوب بلدان النيجر و مالي و موريطانيا ، و من الغرب مملكة مراكش و صحراء واد الذهب.[1]

الحد الطبيعي الوحيد هو الحد الشمالي حيث يمتد البحر الأبيض المتوسط من القالة إلى نمور (الغزوات) فيجعل لها ساحل طوله 1200 كلم^2 ، أما عن تسمية هذه المدينة "الجزائر " فقد وردت في معظم المصادر العربية إبتداء من مطلع القرن 10م لفظ: جزائري بني مزغناي [3] أو جزيرة بني مزغناي،

---

[1]- يحي بوعزيز: **الموجز في تاريخ الجزائر،الجزائر القديمة و الوسيطة**،ج1،دار المطبوعات الجامعية، (د.م.ن)،2009،،ص16.

[2]- أحمد توفيق المدني: **هذه هي الجزائر**، دار البصائر،الجزائر، 2009، ص215.

[3]- إسمها الفينيقي إكوسيوم.

أو سواء ورد إسمها في مفرداً أو جمعاً في المصادر العربية ، فمن المؤكد أن المدينة إستوحت إسمها من الجزر الصغيرة الواقعة على مسافة من الموقع الذي نسبت فيه [1]، و نسبت إلى مزغنة ، و هي قبيلة بربرية من صنهاجة كانت تقطب بالمنطقة ، أما الأتراك العثمانيون فقد أطلقو عليها إسم " الجزائر غازية" أي بجزائر المحاربة.

أما عن أصل لفظ Alger فهو تعجيم للفظ العربي "الجزائر" تناقله الملاحون الأروبيون بلهجاتهم المختلفة خلال القرن 16 م ، و قد أكد الوزان بقوله: {...لكن الإسبان سمونها ألجي ...} .[2]

2-الإطار الجغرافي لتونس :

تعتبر تونس من أهم المدن على ساحل البحر المتوسط[3] ، إذ تقع على الساحل الشرقي لتونس[4]، على خليج واسع[5] ، و تبعد بمسافة صغيرة تقدر بـــ 16 كلم[2] عن موقع قرطاجنة القديمة.[6]

---

[1]- أبو القاسم إبن حوقل : **المسالك والممالك** ، مطبع بريل، ليدن ، 1872هـــ، ص215.

[2]- الحسن بن محمد الوزان : **وصف إفريقيا**، تر:محمد حجي،محمد الأخضري، دار الغرب الإسلامي ،بيروت ،1983 ،ص37.

[3]- كمال موريس شريل : **الموسوعة الجغرافية للوطن العربي** ، ط1، دار الجيل ،،بيروت، 1998، ص133.

[4]-- الصادق أبو سرور: **كتاب جغرافية القطر التونسي**،ط2،المطبعة التونسية،تونس ،1938 ،ص40.

[5]- آمنة أبو حجر: **موسوعة المدن الإسلامية**، ط1، دار أسامة للنشر و التوزيع، عمان، 2002، ص77.

[6]- محمد أفندي مختار بكباشي: **المجموعة عن الشفاهية في علم الجغرافية** ، أركان حرب الجهادية، 1294هـــ ، ص114.

و هي جزء من الشمال الإفريقي أو المغرب العربي و أصغر أقطار المغرب مساحة ، و تبلغ مساحتها حوالي 1200 كلم^2 ، إذ تقع تونس غرب ليبيا ، يحدها من الشمال و الشرق البحر الأبيض المتوسط و من الغرب و الجنوب الجزائر

و في الجنوب الشرقي ليبيا ، و بذلك يصبح لتونس حدان بحريان و حدان بريان أما عن أشهر مدنها (صفاقس) ،(سوسة) ، (القيروان) ، (المهدية).[1]

و قد بنيت المدينة فوق ربوة مطلة على البحر[2] على حافة بحيرة تتصل بالبحر بواسطة قناة [3]، يترسب عبرها الماء إلى البحيرة [4]، و قد أشاد الوزان بموقعها المتميز عندما مر بها أوائل القرن 16م بقوله {... مدينة صغيرة من تأسيس الأفارقة على ضفة البحيرة المكونة من قناة حلق الوادي بعيدة عن البحر بنحو ميلين...} [5].

أما عن تسمية المدينة فقد أطلق العرب عليها إسم تونس[6]، أما إسمها الاتيني تونيوتيوم حسب ما أورده الوزان ، و تتفق معظم المصادر العربية أن إسمها القديم على نحو ترشيش ، فقد أورد الوزان في هذا الصدد : « ...كانت

---

[1]– إسماعيل أحمد– محمود شاكر: **تاريخ العالم الإسلامي** ، ج2، دارالعبيكان، (د–س.ن)، ص91.

[2]– مسعود الخواند: **الموسسوعة التاريخية** ،ج2،الشركة العالمية للمسموعات، بيروت، 2004، ص113.

[3]– جو أو ها بنشرايت : **رحلة إلى الجزائر و تونس و طرابلس(1145هـ/1732)** ترو تق: ناصر الدين سعيدوني ، دار الغرب الإسلامي، تونس،2008، ص113.

[4]– مارمول كاريخال : **إفريقيا** ، تر: محمد حجي ، محمد زنينبر ، محمد الأخضر ، أحمد توفيق ، أحمد بنجلوان ، ج2 ، دار المعرفة للنشر ، (د.م.ن)، 1989، ص113.

[5]– الوزان : المصدر السابق، ج2، ص71.

[6]–تونس كلمة بربرية معناها البرزخ. ينظر لزهر الحسناوي : **أطلس الدول العربية** ، منشورات نوميديا ،2010، ص 10.

تدعى في غابر الأزمان ترسيس كنظيرتها في آسيا ... » [1] ، أما التمكروتي فقد أورده ترشيش« ...تونس تعرف بترشيش... » [2]، أما إبن الدينار فقد أورده ترشيش بقوله « ...و مدينة تونس في ذاتها قديمة إسمها في التواريخ ترشيش و لما فتحها المسلمون و أحدثوا بها البناء سموها تونس... » .[3]

يمكن القول في الختام أن هذا الترابط و الإمتداد الجغرافي سهل من حركة إنتقال الإنسان، و جعل من المنطقتين فضاءاً مفتوحًا أمام التيارات العلمية حتى تكون قابلة لعملية التأثير و التأثر المتبادل بين الإيالتين ، فالوحدة الجغرافية عامل من عوامل القوة التي تدعم و تساعد على التواصل العلمي .

المطلب الثاني : العامل السياسي

عرفت بلاد المغرب بعد الموحدين تفككا سياسيا و جغرافيا فظهرت ثلاث دويلات بالمغارب الثلاث[4] ، فأهم ما ميز علاقتها هو الصراع السياسي و العسكري بهدف توسيع مجالها الجغرافي على حساب بعضها و كانت الإمارات مقسمة فيما بيها ففي تونس نجد الإمارة الحفصية (1573/1228م) و في تلمسان نجد الإمارة الزيانية (1554/1236م) ، و في مراكش الإمارة المرينية (1550/1269م) و هو ما جعل قدراتها الدفاعية ضعيفة و جعلها

---

[1]- الوزان: المصدر السابق، ج2 ، ص 71.

[2]-.علي بن محمد التمكروتي : **النفحة المسكية في السفارة التركية** ، تر: عبد اللطيف الشادلي ، المطبعة الملكية، الرباط، 2000، ص45.

[3]- محمد بن أبي القاسم الرعيني القيرواني (إبن أبي الدينار) : **المؤنس في أخبار إفريقيا و تونس**، ط3، دار المسيرة ، بيروت، 1993،ص 19.

[4]- علي محمد الصلابي: **صفحات من التاريخ الإسلامي في الشمال الإفريقي (دولة الموحدين)**، دار البيارق للنشر، دائرة المكتبة الوطنية، عمان، 1998،ص- ص 235- 378.

مستهدفة من طرف الحملات الصليبية و الأروبية خاصة الإسبانية و البرتغالية [1].

فبعد سقوط غرطانة سنة 897هـ/1492م نقل الإسبان حروبهم ضد المسلمين إلى شمال إفريقيا (حروب الإسترداد) فتم خلاله إحتلال أغلب سواحل المغرب الأوسط[2] ، فإحتلو المرسى الكبير سنة 911هـ/1505م ، و وهران عام 914هـ/ 1509م و بجاية سنة 915هـ/1510م ، و وجهو حملاتهم بعد ذلك إلى مدينة الجزائر و جيجل و دلس و إحتلوها سنة 916ه/1511م .[3]

عرفت تونس هي الأخرى أوضاعاً مشابهة للجزائر و هذا من منطلق الموقع الجغرافي الإستراتيجي الذي تتمتع به ، فقد ثم إحتلال سواحلها سنة 940هـ/1535م ، و بعدها ثم إسترجاعها من قبل حاكم الجزائر سنة 976هـ/1569م ، و لكن الإسبان لم ييأسوا فعاودو إحتلالهم لتونس سنة 980هـ/1573م ، و بالمقابل عرفت سيطرة القبائل على مختلف المناطق التونسية و زادت من نفودها فيها.[4]

---

[1]- يحى بوعزيز: المرجع السابق، ص- ص 7- 9.

[2]- وليم سبينسر : **الجزائر في عهد رياس البحر**، تقرو تق: عبد القادر زبادية ، دار القصبة ،الجزائر،2007،ص34.

[3]- خليفة حماش : **العلاقة بين إيالة الجزائر و الباب العالي (1798-1830)**، رسالة ماجستير، إشراف خليل عبد العال، كلية الآداب ، جامعة الإسكندرية،1988،ص23.

[4]- محمد الهادي الشريف : **تاريخ تونس من عصور ماقبل التاريخ إلى الإستقلال**، تر:محمد شاوش و محمد عجينة،ط2، دار سراش للنشر،1993، تونس،ص- ص 65- 66.

أمام هذه الأوضاع التي كانت القاسم المشترك بين الجزائر و تونس، قام أهالي الجزائر سنة 925هـ/1519م بالإستنجاد بالسلطان العثماني سليم الأول[1]، و بالمقابل لكل هذه الأحداث التي عرفتها بلاد المغرب و خاصة الجزائر، برز الأخوان عروج و خير الدين بربروس[2] المشهوران بالجهاد البحري ضد القراصنة الأروبيون و هذا إنطلاقا من قاعدتهما العسكرية بجزيرة جربة التونسية ، فبعد الخلافات الكبيرة مع السلطان الحفصي بتونس ثم تحويلها إلى جيجل التي إعتبرت بمثابة إنطلاق لتحرير سواحل الجزائر من الإسبان ، فتم ذلك لأغلب سواحلها ، و كان هذا كله خلال سنتي (920هـ/1514م) (925هـ/1519م) ، و آخرها المرسى الكبير سنة (1206ه/1792م).[3]

و أعلن بعدها أهالي الجزائر رغبتهم في الإنضمام إلى الدولة العثمانية فأرسلوا وفدا لطلب ذلك و كان الرد فعل السلطان العثماني إعلان القبول ، و بداية من سنة (926ه/ 1520م) أصبحت الجزائر إيالة عثمانية[4] و عين خير الدين بربروس بايلرباياً لها و بعدها تحققت الوحدة الإقليمية و السياسية للجزائر وذخلت فيما بعد مرحلة جديدة من تاريخها العثماني .[5]

---

[1]– عبد الجليل التميمي : "أول رسالة من أهالي مدينة الجزائر إلى السلطان سليم الأول 1519"،**المجلة التاريخية المغاربية**،عدد5–6،تونس 1976م،ص45.

[2]– خير الدين بربروس : **مذكرات خير الدين بربروس**، تر: محمد حراج، شركة الأصالة للنشر و التوزيع،الجزائر،2010، ص24.

[3]– هنري دونان : **الإيالة التونسية** ، تر: محمد فريد الشريف ، المطبعة العصرية ، تونس ، 2002، ص– ص 17– 18.

[4]– عبد الجليل التميمي : **دراسات في التاريخ العثماني المغاربي** ، منشورات الجامعة التونسية ،تونس، 1970، ص– ص 18– 20.

[5]– أحمد قاسم : **إيالة تونس العثمانية على فتاوى إبن عظوم (1574–1600م)**، تق: عبد الجليل التميمي ، منشورات مؤسسة التميمي،تونس، ، 2004،ص– ص 62– 66.

و في المقابل عقدت السلطة العثمانية عزمها لتحرير تونس من الإسبان فتم توجيه حملة عسكرية لتحرير سواحلها و دارت معارك كبيرة بينهما ، إنتهت بإسترجاع تونس سنة (981ه/1574م) ، فأصبحت تحمل لقب إيالة عثمانية فذخلت هي الأخرى مرحلة جديدة من تاريخها الحديث.[1]

يمكن القول أن العامل السياسي كان له أثر كبير في التواصل الإيالتين فيما بينهم، و ذلك نظرا إلى الأوضاع السياسة التي مرت بيها إيالتى الجزائر و تونس ، بالإضافة إلى الولاء لنفس الخلافة الإسلامية المتمثلة في الدولة العثمانية.

المبحث الثاني: العامل الثقافي و الحضاري

المطلب الاول : العامل الثقافي

أولاً : الأوضاع الثقافية بالجزائر العثمانية و أثرها في التواصل مع تونس العثمانية :

إن العهد العثماني في الجزائر ساده الركود الثقافي شأنه شأن باقي الدول العربية ، حيث لم تعرف حركات تجديد فكرية و لا نهضة علمية ، بالرغم من أن العربية ظلت لغة التعليم و لغة الشعب ، فإن الدولة قد إتخذت التركية لغة رسمية و قد أرخت كتب الرحالة الذين حلوا بالجزائر إبان الفترة العثمانية إلى أن التعليم كان منتشرا في الجزائر و أن كل جزائري كان يعرف القراءة والكتابة ، فقد كان سكان كل قرية ينظمون بطرقهم و وسائلهم الخاصة تعليم القرآن و الحديث و العلوم العربية و الإسلامية ، لأن دراسة مثل هذه العلوم هي السبيل إلى معرفة و فهم أسرار الدين و القرآن و السنة.[2]

---

[1]- نفسه ، ص 67.

[2]- أحمد مريوش : **الحياة الثقافية في الجزائر خلال العهد العثماني**، سلسلة المشاريع الوطنية للدراسات و البحث في الحركة و ثورة أول نوفمبر1954، الجزائر، ص15.

غير أن هذا لا يعني أنها لم تتوفر علوم أخرى كالعلوم المحضة ، هذه الأخيرة وجدت بنسبة ضئيلة جدا نظرا لمحدودية تداولها في العهد العثماني و قلة مدرسيها كذلك ، أما العلوم التجريبية فيشير الدكتور أبو قاسم سعد الله بأنها لم تكن تدرس على الرغم من وجود بعض المتطبيين و الصيادلة ، و كان الطب يتـــــعلم بالتـــعود و الممارسة لا عن طريق التحصيل العلمي.[1]

إن الولاة العثمانيين كان لهم تكوين ثقافي بسيط مع وجود العاطفة الدينية التي تتأجج في نفوسهم ، لذلك يلاحظ على العهد العثماني في الجزائر قلة الإنتاج الثقافي ، لعدم إهتمامهم بذلك الجانب الحيوي و الثقافي ، إلا في عدد من المدن الجزائرية التي حافظت على التراث الفكري الذي ورثته و ونبغ فيه علماء وشعراء و إتسع أفق أبنائها في مجالات أدبية ولغوية.[2]

كانت دور العلم والمدارس تمول من واردات الأملاك الموقوفة التي أوقفها أصحابها أتراكاً وعرباً في أعمال الخير والإصلاح و الإنفاق على شؤون تلك المدارس ، وتنصيب العلماء لتدريس فيها ومنحهم مستحقاتهم المالية ، وكان تلامذة العلم يلازمون شيوخهم لشهور أو لسنوات عدة على وفق إنقياد تام لتلقي علوم الدين والفقه ، ويجرى إحتفال كبير بعد كل عملية ختم لقرآن الكريم حين يكمل التلميذ الدراسة ويمنح الإجازة التي تؤهله حق التدريس.[3]

حرص عدد من التلاميذ الجزائرين من ميسوري الحال على التزود بالعلم من مصادر خارجية ، فهاجروا إلى مراكش و تونس و مصر و الحجاز،

---

[1]- أبوقاسم سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي (1500-1830)** ،ج1،ط1، دار الغرب الإسلامي،بيروت ،1998، ص- ص 352- 354.

[2]- يحي بوعزيز: المرجع السابق، ص156.

[3]- أبو قاسم سعد الله : **محاضرات في تاريخ الجزائر بداية الإحتلال الجزائر**، ط3،(ش.و.ن.ت)،1998، ص167.

و إلتقوا بعلمائها وتحصلوا العلوم على أيديهم ، وكانوا ينالون حظوة كبيرة حين عودتهم إلى بلدهم ، إذ يقومون بمهمة التدريس ونشر ما حصلوا عليه من معارف جديدة و غالباً ما يجمع إلى وظيفة المدرس وظائف أخرى كالقضاء أو الإفتاء .[1]

و قد كان للإضطربات السياسية التي مرت بها البلاد إنعكساتها على الحياة الفكرية من خلال هجرة العلماء إلى أقطار المجاورة مما خلف فراغا ثقافيا في الحاضرة كأمثال : (المقري التلمساني)[2] و (سعيد بن قدورة)[3].
مع ذلك هناك علماء فضلوا البقاء في أرض أجدادهم لنشر رسالة العلم بين أبناء بلادهم كالشيخ (عبد الكريم الفكون)[4].

---

[1]– أحمد مريوش : المرجع السابق، ص17.

[2]– مقري التلمساني : أحمد بن محمد المقري من ذرية أبي عبد الله المقري التلمساني ، ولد في تلمسان عام (1578م–1631م) و قرأ بها على عمه "سعيد المقري" ،ثم رحل إلى فاس عام 1009ه، و أخد العلم عن"أبي العباس" و" بابا السوداني " و" أحمد القاضي"، و...، ثم رحل إلى مراكش عام 1515ه، و أقام بها فترة ثم نقل إلى فاس أين ولى فيها الإفتاء و الخطابة. ينظر: أبو القاسم الحنفاوي: **تعرف الخلف برجال السلف**، تح: أبوالجفان عثمان بطيخ، ج2، ط1، مؤسسة الرسالة و المكتبة العتيقة ،الجزائر، تونس، 2007، ص57.

[3]– سعيد بن قدورة : هو سليل عائلة قدورة ، و المؤسس العلمي لأسرة بن قدورة ،التي تولت الإفتاء المالكي بالعاصمة لأكثر من قرن دون إنقطاع، تولى الشيخ سعيد قدورة الإفتاء عام 1028ه، إلى غاية وفاته 1066ه. ينظر:أبو قاسم سعد الله :**تاريخ الجزائر الثقافي** ،ج1، ص357.

[4]– إبن الفكون : هو عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم الفكون التميمي القسنطيني، من مواليد قسنطينة سنة 1580م، و المتوفي في نفس المدينة عام 1662م، و يعتبر من أبرز أفراد العائلة علماً و عملا و سمعة ، و قد بلغت في عهده عائلته أوج قوتها المادية و المعنوية ، درس على أيدي شيوخ من أبرزهم التواتي المغربي. ينظر: عبد الكريم الفكون : **منشور الهداية في كشف حال من أدعى العلم و الولاية** ،تق : أبو القاسم سعد الله،ط1،دار الغرب الإسلامي ، بيروت لبنان،1407–1987، ص7.

يبدو أن عدم إهتمام الحكام العثمانيين بالأوضاع الثقافية في الجزائر، لم يمنع الجزائرين من إستكمال ما بدأوه من العلوم الإسلامية و الإنسانية و الإهتمام بالمكتبات و ثرائها بالكتب و المخطوطات و الحفاظ عليها من التلف بحملها إلى أماكن آمنة ، وبالتعاون مع العاملين في الجزائر لرفد المدارس و الزوايا والجوامع بتلك الكتب المختلفة ، و القيام بنسخها يدوياً لنهوض بالواقع السيئ الذي فرض عليه.[1]

أما في الميدان العمراني نجد المساجد العثمانية كان لها تجليتها الفنية المتميزة بدقة بناءها و تنوع زخرفتها ، و كان للوفود الأندلسية هنا دوراً فعالا من خلال ما قدموه من إنجازات هامة كإعادة إحياء مدن(كدلس) و (تنس) و(جيجل) و (شرشال) فضلا عن إنشاءها لمدن جديدة (كالقليعة) و(البليدة) و قام بتطوير مدن (كتلمسان) ، (أرزيو)، (عنابة).[2]

نستخلص من هذا أن رغم الركود و الجمود الثقافي و عدم إعتناء العثمانيين بالعلم و الثقافة إلا أن بعض المراكز العلمية بقيت تؤدي رسالتها و وظيفتها على أكمل وجه ، وذلك بفضل بعض الفئات الذين كرسوا حياتهم للنهوض بواقع ثقافي جيد.

ثانياً : الأوضاع الثقافية بتونس العثمانية و أثرها في التواصل مع الجزائر العثمانية :

بالنسبة للأوضاع في تونس في نفس المرحلة ، فقد نشطت الحياة الثقافية و نتج عنها آثار إيجابية ، يمكن الإستدلال من خلالها على أن الايالة كانت على أبواب النهضة ، حيث نشطت الدراسات الدينية بمختلف جهات البلاد في كل من

[1]– أبو القاسم سعد الله : **تاريخ الجزائر الثقافي** ،ج1، المرجع السابق،ص 167.

[2]– ناصر الدين سعيدوني و بوعبدلي المهدي : المرجع السابق، ص98.

(القيروان) ،(سوسة) و (صفاقص) ، و كثر فيها عدد العلماء من مالكية و حنفية.[1]

و يمكن إرجاع هذا الوضع إلى مجموعة من العوامل :

1 – تشجيع الدايات الأوائل و البايات طوال القرن السابع عشر للعلوم و الفنون ، و سعيهم لتشيد حواضر تعرف بهم على نحو ما قام به سلاطين آل عثمان.[2]

2 –عائدات النشاط البحري و التي أسهمت في تشيد العديد من الجوامع و المدارس، التي إلتقت فيها التأثيرات المحلية بالأندلسية و المشرقية ، فتجلت على إثره أعمال فنية كجامع (سيدي يوسف) ، جامع (حمودة باشا).[3]

3– الجالية الأندلسية التي كان لها بصمات هامة في الميدان العمراني و ذلك بتشيدها لمدن عرفت بها مثل: (السلوقية) و (العالية).[4]

عرفت إيالة تونس مؤرخين مشهورين خدموا العلم بمعرفتهم التاريخية و تركوا كتابات و مؤلفات أشهرها: قرة العين (لمحمد سعادة) ، مفاتيح النصر للمؤرخ (العيادي).[5]

---

[1]– محمد الهادي الشريف : **ما يجب أن تعرف على تاريخ تونس**، ،تع : محمد الشاوش و محمد عجينة، ط2، سراش للنشر،(د،ب،ن)،1985، ص92.

[2]– عبد الرحمن المؤذن و عبد الرحيم بنجادة : **العثمانيون في المغارب خلال الأرشيفات المحلية و المتوسطية**، ط2،منشورات كلية الأداب و العلوم الإنسانية،2006،الرباط ، ص55.

[3]– محمد الهادي الشريف: **تاريخ تونس من عصور ما قبل التاريخ إلى الإستقلال**، المرجع السابق، ص 92.

[4]– عبد الكريم القفصي : **نظرة حول بعض الحرفين و المهنين الأندلسين و الأتراك"، الحياة الإجتماعية في الولايات العربية أثناء العهد العثماني**، منشورات مركز الدراسات و البحوث العثمانية و الموريسكية ، مطبعة الشركة الوطنية لفنون الرسم،تونس 1988،ص590.

[5]– نفسه ، ص 592.

رفض بعض حكام تونس الإنغلاق داخل حوصلة الدولة العربية ، و بفضل سياسة البعض منهم أمثال : (حمودة باشا)[1]، تفتحت إيالة تونس على بعض مظاهر الحضارة الأوروبية و تأثرت بإنجازاتها العلمية، فقام هذا الباي بجلب الخبراء و الأطباء و المهندسين و غيرهم ، للعمل بإيالة تونس حتى ينشرون خبراتهم لدى التونسين ، إلا أن أغلب حكام هذا العصر سواء في إيالة الجزائر أو إيالة تونس فإنهم لم يفكروا بإرسال الطلاب إلى الخارج لتعلم بغية الإستفادة من الخبرات الأروبية ، و لهذا بقيت الإيالتين متراجعتين عما يحدث في أروبا من ثورة إقتصادية و علمية .[2]

المطلب الثاني : العامل الحضاري

1-اللغة و الدين :

هذان العاملان يعتبران أكبر و أقوى دعامة و وحدة بين الإيالتين ، فتعتبر اللغة عنصر أساسي في دعم التواصل العلمي بين الجزائر و تونس و أداة للتعاون فقد إتخذ سكان الإيالتين من لغة القرآن اللغة العربية ، فكانت لغتهم الرسمية في التواصل .[3]

أما بالنسبة لدين فلقد شهدت كل من الجزائر و تونس منذ العصور القديمة نفس العقيدة الدينية بداية من الوثنية و مروراً بالمسيحية حتى الوصول إلى

---

[1]- حمودة باشا: هو الإبن الأكبر لعلي باي كان يكنى أبا أحمد، ولد حوالي 1752م، ، إعتلى العرش الحسيني سنة1792م ، وصف باللياقة البدنية و الصرامة في إصدار الأحكام، أحسن قراءة و كتابة اللغتين العربية و التركية ، عرف بحكمته ، قيل أنه سير الإيالة بيد من حديد، إبتعد عن كل ما يخل بأمن الدولة ، أولى الجيش أهمية فائقة أكثر فيه العنصر العربي و البربري و إستبعد الجند الأتراك الذين كان لا يتق بهم. ينظر: محمد الهادي الشريف ، المرجع السابق ، ص- ص 87- 93.

[2]- عبد الكريم القفصي :المرجع السابق، ص593.

[3]- عبد الله العروي : **المغرب العربي (نظرة مستقبلية)**، وزارة الخارجية العربية ،الإمارات العربية المتحدة، 1984،ص- ص 201-202.

الإسلام ، إلا أن رابطة الإسلام هي التي ميزت الأمة المغاربية ، إذن إن الدين الإسلامي و المذهب المالكي يسودان البلدين بصفة مطلقة و يحتلان مكانة متميزة لدى السكان ، حيث ساهم هذا المذهب في توحيد المبادئ و الأسس الفقهية للإيالتين .[1]

4- **المدارس الدينية :**

لقد عرف كل من الجزائر و تونس مؤسسة جديدة مع مجئ الإسلام و هي مؤسسة المسجد ، و التي لعبت دور المؤسسة الدينية و الثقافية في آن واحد فهي ليست مؤسسة خاصة بفئة واحدة (طلبة و علماء) و إنما مفتوحة لعامة الناس و هذا ما أدى إلى بروز إطار فكري واحد بالبلدين ، مادام المسجد يقوم بنفس المهام في كل المناطق الريفية و الحضرية سواء بالجزائر أو تونس ، فيعتبر هو منشط الحياة العلمية .[2]

كما لعبت الزواية دورا كبيرا في توحيد الإيالتين و ذلك لما تمنحه للشخص من إحساس بالإنتماء لهاته الطريقة أو تلك ، فإنتقلت بالإسلام من بعده السطحي البسيط إلى بعده الباطني الروحي ، هذه المؤسسات جعلت من الشخص الجزائري و تونسي غير مبالي بالحدود السياسية للوصول إلى مبتغاه الروحي.[3]

5-**الطرق التجارية :**

---

[1]- مصطفى الفيلالي: **المغرب العربي الكبير نداء المستقبل**، مركز الدراسات ، الوحدة العربية ،بيروت، لبنان،1839،ص32.

[2]- محمد الطمار:**الروابط الثقافية بين الجزائر و الخارج**، (ش.و.ن.ت) ،الجزائر، 1983، ص201.

[3]-نفسه ، ص202.

لقد ساهم الدين الاسلامي في تنشيط حركة التجارة في كل من الجزائر و تونس ، حيث جعل منهما نقطة ترابط و إلتقاء القوافل التجارية ، و لذلك فقد كان علماء الإيالتين في تنقل مستمر بحثا عن الرزق و طلب العمل ، فكانو يستغلون رحلاتهم التجارية في مد جسور التواصل العلمي بين الإيالتين مستغلين تنقل العلماء و الطلبة معهم في هاته القوافل .[1]

6-قوافل الحج :

تعتبر مكة المكرمة المقصد و المنبع الروحي المفعم بالدلالات الدينية و الرمزية لعلماء الجزائر و تونس ، وكان هذا العلماء يرون بأن شخصياتهم لا تكتمل إلا عندما يذكرون في كتبهم خاصة المتعلقة بالرحلة بأن لهم رحلة حجازية و هذا ما جعلهم يهتمون بلقب الحاج ، و ما زاد في قيمة هذه الرحلة هو حث النبي صلى الله عليه و سلم عليها في قوله: (لا تشد الرحال إلا لثلاث مساجد : مسجد الحرام ، و مسجد الرسول ، و المسجد الأقصى) .[2]

و مادام أن إتجاه هذه الرحلة هو شرقاً فإن علماء الجزائر هم المعنيون بالمرور عبر الايالة التونسية في رحلتهم لتأدية فريضة الحج ، فكانت تستغل تلك السفرة الطويلة في الجدال و المناقشة العلمية في مواضيع شتى و أحياناً تحدث مبادلات تجارية بين الحجاج ، و هذا ما ولد عملية التفاعل و الاحتكاك و التواصل العلمي بين الإيالتين .[3]

---

[1]- ناصر سعيدوني و عبدلي المهدي : **الجزائر خلال العهد العثماني** ،الشركة الوطنية للكتاب ، الجزائر، 1984،ص42.

[2]- أبي عبد الله محمد بن أحمد الحضيكي : **الرحلة الحجازية** ، ط1، ضبط و تعليق:عبد العالي لمدبر،مركز الدراسات و الأبحاث و إحياء التراث،الرباط ،المغرب، 2011،ص- ص 80- 88.

[3]- نفسه ، ص 89.

و من خلال هذا نستنتج أن شعبي الإيالتين تمتعوا بثقافة عريقة مشتركة مزج بينهما التشابه في التاريخ و في الدين و اللغة ، لذلك نجد أن كل المصاعب التي ملأت تاريخ الإيالتين إلا و غلب عليها عامل حضاري كسر الحواجز التي أرادت الفصل و القطيعة بين الإيالتين .

يمكن القول في ختام الفصل الأول من العوامل المساهمة في التواصل العلمي بين الجزائر و تونس خلال العهد العثماني :

1- أن الصلات بين الجزائر و تونس تعود إلى فترات متقدمة من التاريخ .

2- أن الحدود الجغرافية و السياسية بين الإيالتين لم تؤثر في عملية التقارب و التواصل العلمي .

3- لقد كانت للوحدة اللغوية و الثقافية و الدينية دوراً مؤثراً و مساهماً في مد جسور التواصل العلمي بين الإيالتين .

4- لعبت الأوضاع السياسية المتشابهة دوراً كبيراَ في تنشيط و توطيد الحوار بين إيالتي الجزائري و التونسي.

الفصل الثاني :

الحواضر العلمية في الإيالتين

المبحث الأول : المراكز العلمية في الجزائر

1-المساجد و المدارس و الكتاتيب

2-الزوايـــــــــــا

المبحث الثاني : المراكز العلمية في تونس

1-الجوامـــــــــع

2-المدارس و الزوايا

تعتبر المرافق الدينية و التعلمية من أهم المعالم في المدن الإسلامية و في مقدمتها نجد المساجد و الزوايا و الكتاتيب ، و يرتبط الجانب العلمي في كل من الجـــزائر و تونس بهذه المرافق ، حيث كانت لهذه الأخيرة أدواراً هامة في مجتمع الإيالتين العثمانيتين ، و سنتناول في هذا الفصل أهم المراكز العلمية في كل من الإيالة الجزائرية و التونسية .

المبحث الأول: الحواضر العلمية في إيالة الجزائر

المطلب الأول : المساجد و المدارس و الكتاتيب القرآنية

أولاً- المساجد :

تعد المساجد من المظاهر و المنشآت المعمارية التي تميز المدن الإسلامية فالمساجد كانت من أبرز مميزات إيالة الجزائر في العهد العثماني، فالجامع إصطلاحاً أكبر حجما من المسجد، فهو الذي تؤذي فيه الصلاة الجامعة أو الجمعة و العيدين .[1]

و من أهم المساجد الجزائر خلال الفترة العثمانية هي :

1-الجامع الكبير: هو من أقدم المساجد في الجزائر و يسمي كذلك بالجامع الأعظم شيد هذا المسجد في أول رجب 1098 م من طرف يوسف بن تاشفين و يعد من أهم المباني الدينية في مدينة الجزائر و أكثرها صيتاً و شهرة .[2]

و تقدر مساحته بنحو مائتي متر مربع ، يحوي أقدم مشرفي العالم و هو المنبر الشريف ، و إحتوى على مكتبة ضمت كتب دينية قيمة ، كما كان يعرف

---

[1]- أبوقاسم سعد الله : **تاريخ الجزائر الثقافي(1830-1954)** ،ج2،ط1 ،دار الغرب الإسلامي، بيروت ،1998،ج5ص 29.

[2]- عبد القادر نور الدين : **صفحات من تاريخ مدينة الجزائر من أقدم العصور إلى إنتهاء العهد التركي** ،ط2، مطبعة البعث، قسنطينة،1965،ص102.

المكان الذي تعقد فيه جلسات القضاء الأعلى بالمجلس العلمي أو المجلس الشرعي، و كانت ترفع إليه القضايا المستعصية .[1]

2- مسجد الجامع الجديد : و هو من المساجد الباقية حتى الآن ، كان تابعاً للمذهب الحنفي ، عرف أيضاً بـــ "مسجد الصيادة "، شيد سنة 1080هـــ/1660م بني بأموال سبل الخيرات ، كان يشمل على أستاذ و مدرس للفقه المالكين .[2]

3- مسجد علي بتشن : يعد المسجد علي بتشن من أهم مساجد تلك الفترة ، فكان علي بتشن من رياس البحر خلال القرن الحادي عشر هجري السابع عشر الميلادي، و قام ببناء هذا المسجد من ماله الخاص و الذي حمل إسمه ، شيد سنة 1032هـــ/1622م ، و كان يقع في نهج باب الواد ، تم تحويله إلى كنيسة سنة 1258هـــ/1843م.[3]

4- مسجد كتشاوة : يعتبر من أشهر مساجد العاصمة ، يقع في ساحة المسماة حاليا ساحة بن باديس ، كان يحمل إسم كتشاوة التي تعني بالتركية "هضبة المعز"، أعيد بنائه من طرف حسان باشا في سنة 1209هـــ/1895م ، حول المسجد إلى كاتدرائية سنة 1260هـــ/1840م .[4]

---

[1]- محمد الطيب عقاب : **قصور مدينة الجزائر أواخر العهد العثماني** ،ط1،دار الحكمة ،الجزائر،2000، ص28.

[2]- عبدالقادر نور الدين : المرجع السابق،ص110.

[3]- نفسه ، ص 111.

[4]- محمد الطيبب عقاب : المرجع السابق،ص 30 .

ثانياً- المدارس:

و هي أماكن خصصت لإلقاء الدروس بها و لا توجد إلا ببعض المدن الرئيسية مثل : قسنطينة و بجاية و وهران وتلمسان و من أهم العلوم التي كانت تدرس بها هي:

- العلوم الدينية مثل تحفيظه القرآن و شرحه و تفسير الحديث ، و تعليم الفقه و التوحيد، و المنطق و الأصول .
- علوم اللغة و الآداب ، كالنحو ، الصرف ، البلاغة ، العروض ، القوافي و قواعد الإنشاء بإعتبارها أداة و وسيلة لإتقان العلوم الدينية .
- العلوم الطبيعية و التجربية ، كالفلك ، الحساب ، الطب ، والصيدلة العشبية و غيرها .

و توجد بالجزائر مجموعة من هذه المدارس ما يزال البعض منها قائما حتى اليوم مثل: مدرسة (إبن مروان) بعنابة و(الكتانية) و(سيدي عبد الرحمن الثعالبي) بالجزائر العاصمة .[1]

المطب الثاني : الكتاتيب القرآنية و الزوايا

1-الكتاتيب القرآنية :

هي أول محل يتلقى فيه الطفل الحروف الهجائية بواسطة اللوح المصلصل و القلم القصبي ، و تكون هذه الكتاتيب غالبا في أضرحة الأولياء و في الدكاكين و المساجد التي لا تقام فيها الصلوات الخمس .[2]

---

[1]- يحى بوعزيز: المرجع السابق ،ص- ص 155- 156.

[2]- محمد بن ميمون الجزائري : **التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية** ،تق و تح : محمد عبد الكريم ،ط1، (ش.و.ن.ت)، الجزائر،1972 ،ص 58.

كما أن هذه الكتاتيب هي أقل وحدة للتعليم الإبتدائي و هي مأخودة من الكتاب أو المكتب ، و كان يطلق عليها و لا سيما في العاصمة اسم "مسيد" و هو بدون شك محرف عن تصغير كلمة مسجد ، وظيفتها الأساسية هي تحفيظ القرآن الكريم للأطفال و ترتيله ، و كانت الكتاتيب منتشرة في القرى و المدن و في جميع الأحياء .[1]

و الملاحظ أن جميع الجـــزائرين كانوا يقبلون على إرسال أبنائهم إلى هذه الكتاتيب ، دون تهاون أو تردد لأن ذلك يمثل في نظرهم رمزا للإسلام الجميع كما أن أغلبية الأطفال في هذه الكتاتيب يقومون بحفظ القرآن دون فهمه .[2]

2- الزوايا :

عبارة عن مجمعات من البيوت والمنازل المختلفة الأشكال و الأحجام تشمل على بيوت للصلاة ، كمساجد وغرف لتحفيظ القرآن الكريم و تعليم العلوم الإسلامية ، و أخرى لسكني الطلبة ، و طهي الطعام، و تخزين المواد الغذائية و إيواء الحيوانات التي تشغل في أعمال الزاوية ، و مؤسسوا هذه الزوايا رجال دين متصوفون متزهدون .[3]

[1]- أبو قاسم سعد الله : **تاريخ الجزائر الثقافي** ،ج 2، المرجع السابق، ص- ص 276 277.

[2]- أحمد مريوش :المرجع السابق، ص19.

[3]- عبد العزيز شبهي : **الزوايا الصوفية و الغرابة و الإحتلال الفرنسي في الجزائر** ،(د.ط)، الجزائر، 2007، ص18.

و لهذه الفترة قائمة طويلة للزوايا أغلبها في :

في مدينة الجزائر : (زاوية عبد الرحمن الثعالبي) ، (زاوية عبد القادر الجيلالي) .

في مدينة القبائل : زاوية (تيزي راشد) ، (زاوية إبن أعراب) ببجاية .

و في قسنطينة: (زاوية سيدي الكتاني) ، (زاوية أولاد الفكون) .

أما عن الجنوب الشرقي فأشتهر بـــــــــــــ :

(الزاوية الناصرية) بخنقة سيدي ناجي و (الزاوية المختارية) بأولاد جلال و زاويتا (سيدي الحاج يحي و سيدي الحاج بحوص) بالمنيعة .

أما عن الجنوب الغربي فعرف بـــــــــــــ :

(زاوية سيدي أحمد بن موسى) ببني عباس، و(زاوية سيدي عبد الله بن طمطم) برقان و مجموعة زوايا توات و هي (البكائية) و (البكرية) .[1]

[1]– عبد العزيز شهبي : المرجع السابق ، ص– ص 19– 20.

المبحث الثاني : الحواضر العلمية في إيالة تونس

المطلب الاول : الجوامع

أولاً : أقدم الجوامع

1- جامع الزيتونة :

إختلفت الروايات حول من أسّس الجامع ، فقد نسب الشيخ أبي عبد الله بن عثمان سنوسي البناء إلى حسان بن نعمان ، في حين أتمّه عبيد الله الحبحاب سنة 141ه/764م[1] ، ذكر المراكشي أن عبيد الله الحبحاب قدم إفريقية في ربيع سنة 116 ه ، و هو الذي بنى الجامع بتونس .[2]

من الأعلام و المصلحون الذين تخرجوا من جامع الزيتونة نجد المؤرخ "إبن عرفة "و "إبراهيم الرياحي" و غيريهم كثير من النخب التونسية و المغربية و العربية .[3]

2- جامع عقبة بن نافع: (جامع القيروان الكبير)

يعتبر مسجد القيروان أهم مساجد تونس ، بل هو واحد من ثلاثة مساجد لها مكانة خاصة في بلاد المغرب العربي ، فمسجد القيروان أول مسجد بناه المسلمون في بلاد المغرب .[4]

---

[1]- أبي عبد الله محمد بن عثمان سنوسي: **مسامرات الظريف بحسن التعريف** ، تح: محمد شادلي النيفر، ج1، ط1، دار الغرب الإسلامي ،لبنان، 1994 ،ص470.

[2]- إبن غذارى المراكشي : **البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب** ، تح: كولان بروفينسال، ج1، ط3، دار الثقافة ، لبنان،1989،ص52.

[3]- إبن أبي الدينار : المصدر السابق، ص-ص 10-11.

[4]- أحمد فكري : **المسجد الجامع القيروان** ، مطبعة المعارف و مكتبتها بمصر ، 1939 ، ص 67.

تأسس مسجد القيروان عندما فتح العرب شمال إفريقيا على يد عقبة بن نافع الذي أسس هذه المدينة و مسجدها سنة 50هـ/ 670 م ، فقد تم تجديده و إعادة بناءه عدة مرات ، فقد رافق إنشاء المسجد تأسيس مدينة القيروان فسمي المسجد نسبة إلى المدينة ، و لما عزل عقبة بن نافع و خلفه أبي المحاجر تعرض في زمنه إلى الإهمال و الخراب ، و في عام 62 هـ أعيد بناء المسجد على يد عتبة بن غوان بعد أن خرب و أهمل في زمن أبي المحاجر.[1]

و بعد ضم البلاد إلى الدولة العثمانية حرص البايات المراديون و الحسينيون على إعادة إعمار القيروان و إصلاح معالمها و أسوارها ، تبركا بمقام الصحابي الجليل أبو زمعة البلوي و بجامع عقبة .[2]

ثانياً- الجوامع المؤسسة خلال الفترة العثمانية :

1-جامع يوسف داي :

أسس يوسف داي أوّل الجوامع العثمانية بالبلاد التونسية ، و هو الذي تولى الحكم انطلاقاً من سنة 1019 هـ/ 1610 م ، طالت مدة هذا الداي في الحكم إذ بلغت حوالي 28سنة ، إذ تم بناؤه بعد سنة فقط من تولّي هذا الداي الحكم بتونس ذلك بأنه قد مر على وجود العثمانيين المتبعين للمذهب الحنفي بتونس أكثر من ثلث قرن لم يحصل خلالها تشييد ولو جامع واحد ، فلم تدم الأشغال أكثر من أحد عشر شهراً ، وقام ببناء هذا المعلم المهندس ابن غالب الأندلسي الأصل .[3]

---

[1]- أحمد فكري : المصدر السابق ، ص 69.

[2]- محمد إبن خوجة : **تاريخ معالم التوحيد القديم و الجديد** ،دار الغرب الإسلامي،بيروت، 1985،ص 140.

[3]- حسين خوجة : **ذيل البشائر الإيمان لفتوحات آل عثمان** ، تح و تق: الطاهر المعموري ، الدار العربية للكتاب ،تونس ،1975، ص92.

2-جامع حمودة باشا :

هو ثاني الجوامع المؤسسة خلال هذه الفترة، ، ويوجد هذا الجامع وسط الأسواق المحيطة بالجامع الأعظم ، و من أهم أسباب اختيار موقعه هذا هو قربه من جامع الزيتونة ، و هو ناتج عن إرادة الحكام الجدد المتبّعين للمذهب الحنفي نشر مذهبهم بين العامة ، و بما أن الزيتونة مثلت على مر التاريخ معقل العلماء والشيوخ المالكية ، فإن إنشاء جامع قريب منهم يحبّس على المذهب الحنفي كان يشكل في نظرهم أهم الطرق لدعم وجودهم المذهبي .[1]

3-جامع محمد باي المرادي:

هو ثالث الجوامع ، ولعله أهمها على الإطلاق ، وبالرغم من إطلاق العامة على هذا الجامع اسم "جامع سيدي محرز"، فهو لا ينتمي بأيّ صلة إلى هذا الولي ، فقد أسسه محمد باي المرادي في نهاية القرن 17 م ، وأطلق عليه اسم (جامع سيدي محرز) لوقوعه أمام زاوية الولي .[2]

4-الجامع الجديد :

أما رابع الجوامع ، فهو الذي أمر ببنائه حسين بن علي تركي مؤسس الدولة الحسينية الذي تولى مقاليد الحكم سنة 1117 هـ/ 1705م ، أسس هذا الباي ثلاث مدارس خلال الفترة الأولى لحكمه ، وآخر مدرسة أنجزها الباي حسين تمّ بناؤها سنة 1139 هـ/ 1727م ، قبل سنة فقط من اندلاع الحرب

[1]- حسين خوجة: المصدر السابق، ص93.

[2]- محمد بن عثمان الحشاشي: **العادات و التقايد التونسية الهدية أو الفوائد العلمية في العادات التونسية**، دراسة و تح، الجيلاني محمد اليعلاوي ،سراش لنشر، تونس ،ص 93.

الأهلية التي انقسمت فيها البلاد بين حسينية و باشية الجامع الجديد هو أول جامع شيّد في الفترة الحسينية . [1]

4-جامع صاحب الطابع:

آخر جامع هو جامع صاحب الطابع الذي يعد آخر المنشآت الدينية العظمى التي أسست خلال الفترة العثمانية بمدينة تونس ، فهو سابع الجوامع الحنفية و آخرها زمناً، وإن كانت الجوامع الأخرى التي ذكرناها بعد قد أسست من قبل دايات وبايات، فمؤسس هذا الجامع هو الوزير يوسف صاحب الطابع لا ينقص عن هؤلاء في الأهمية ، تم بناؤه سنة1223 هـ/ 1808 م، و هي تعتبر من أحسن الفترات الحسينية [2].

المطلب الثاني : المدارس و الزوايا

أولاً : المدارس :

تميزت مدينة تونس بوجود العديد من المدارس و قد لعبت دورًا مهماً طوال مئات السنين فكانت مركزا لتعليم و إيواء الطلبة من المذهبين المالكي و الحنفي.[3]

1- المدرسة الشماعية :

أول مدرسة في البلاد التونسية أسسها " أبو زكريا الحفصي" بمدينة تونس سنة 1235م ، سميت المدرسة بهذا الإسم لوجودها بسوق الشماعية حيث يعمل الحرفيون لصنع الشمع من شهد العسل ، و كان من أشهر مدرسيها "أبو قاسم

---

[1]- بن أبي الدينار : المصدر السابق ،ص42.

[2]- نفسه ، ص- ص 14-15.

[3]- أبو عبد الله محمد بن محمد الأندلسي: **الحلل السندسية في الأخبار التونسية**، ط1، مطبعة الدولة التونسية ، تونس ،1287،ص320.

بن البراء" و " أبو قاسم إبن زيتون "و من أشهر تلاميذها " إبن خلدون" في العهد العثماني ، كانت خاصة بالمذهب الحنفي .[1]

2- المدرسة النخلة :

بنيت مدرسة النخلة في العهد العثماني و تعتبر أقرب المدارس من جامع الزيتونة ، و قد أخدت إسمها من النخلة التي توجد في صحنها ، و كانت تعتبر مكانا لتعليم و إقامة طلبة جامع الزيتونة ، بنيت المدرسة سنة 1714م و قد بناها الحسين بن علي مؤسس الدولة الحسينية الذي أسس أيضًا المدرسة الحسينية الصغرى و مدرسة الجامع الجديد .[2]

3- **المدرسة الباشية :**

بنيت المدرسة سنة 1752م في عهد علي باشا و خصصت لطلبة المذهب الحنفي ، و قد لعبت دورًا تعلميًا هامًا كما كانت مبيتا لطلبة جامع الزيتونة .[3]

4- **المدرسة السليمانية :**

بنيت المدرسة السليمانية في العهد العثماني و تقع قرب جامع الزيتونة و قد أسسها علي باشا سنة 1754 م و سميت بالسليمانية تخليدا لذكرى إبنه سليمان الذي قتل مسموما من قبل أخيه .[4]

---

[1]- أبو عبد الله محمد بن محمد الأندلسي ، المصدر السابق ، ص321.

[2]- نفسه ، ص154.

[3]- نفسه ، ص- ص 157 -175.

[4]- إبن مامي محمد الباجي : المرجع السابق ، ص119.

5-المدرسة المرادية :

بنيت المدرسة المرادية أو مدرسة التوبة في العهد المرادي و تقع في سوق القماش ليس بعيدا عن جامع الزيتونة ، أسسها مراد باي الثاني بسنة 1673م و أصبحت خاصة بطلبة المذهب المالكي ، لعبت المدرسة دورين أساسين هما الدور التعليمي و دور المبيت للطلبة .[1]

6- المدرسة العاشورية :

بنيت المدرسة العاشورية في العهد العثماني و بالتحديد في عهد علي باشا، و تعتبر أول مدرسة بناها هذا الباي ، تقع المدرسة في حي حوانيت عاشور في الحفصية و منها استمدت إسمها ، بنيت المدرسة لفائدة الطلبة المالكين حيث يقوم المدرسون بتقديم دروس في التوحيد و الفقه و النحو.[2]

ثانياً- الزوايا :

لقد إنتشرت مؤسسة الزاوية بأصنافها المختلفة و وظائفها المتنوعة في كل مكان في المدينة و الريف على حد السواء مساهمة بذلك في تحقيق ما يعرف بالإندماج الإجتماعي بين فئات المجتمع المغاربي عموما.[3]

و أشهرها نجد :

- زاوية "سيّدي أبي لبابة الصّحابي" بُنيت بقابس سنة 1874م.
- الزاوية "العيساوية" بجارة بقابس أنشئت سنة 1876م.

---

[1]- إبن مامي محمد الباجي : المرجع السابق ، ص120.

[2]- محمد بن عثمان الحشاشي : المرجع السابق ، ص102.

[3]- حسن محمد : **الفقراء و الزوايا بوسط إفريقيا من أواسط القرن 6 هـ إلى نهاية 8هـ ضمن المعيبون في تاريخ تونس الإجتماعي** ، بيت الحكم ،قرطاج ،1999 ، ص - ص 31- 37

- زاوية "سيدي المحجوب" بقصور الساف اشتهر أنّها من منشآت علي باشا الثاني 1777/1759م.
- زاوية سيّدي "إبراهيم الرياحي " بمدينة تونس، بناها الأمير أحمد باي الأوّل سنة1850م
- زاوية "سيدي عبد القادر" بالحمامات ، وهي زاوية قديمة جدّدها الأمير حمودة باشا الحسيني سنة 1798م.
- زاوية "سيّدي نصر القرواشي" بنيت بتستور سنة 1736م على يد الحاج عبد الواحد المغراوي .
- زاوية سيّدي "إبراهيم الرياحي " بمدينة تونس، بناها الأمير أحمد باي الأوّل سنة1850م
- زاوية "سيّدي علي شيحة" بمدينة تونس، بناها الوزير مصطفى خزنه دار سنة 1852م.[1]

[1]– حسن محمد : المرجع السابق ، ص 46.

و في ختام هذا الفصل نستنتج :

1-أن المؤسسات العلمية التي كانت منتشرة في كل من إيالتي الجزائر و تونس في الفترة العثمانية لاتكاد أن تخرج عن المسجد و المدرسة و الزاوية و الكتاتيب و أن معظمها كانت لتعليم .

2- هذه المرافق كانت شاهداً حياً و صورة واضحة مساهمة في التطور الفكري و العلمي الذي يمثله ذلك الجيل الهام من العلماء و الفقهاء الذي أنجبتهم هذه المدارس العلمية .

3-كانت هذه المؤسسات حلقة وصل ومكان تبادل الثقافات بين الإيالتين .

الفصل الثالث :

مظاهر التواصل العلمي بين الجزائر و تونس خلال العهد العثماني

المبحث الأول : الرحـــــــلات العلمية

1-علماء الجزائر في تونس

2-علماء تونس في الجزائر

المبحث الثاني : الطـــــــــــــرق الصوفية

1-الطرق التي ظهرت في الجزائر و إنتقلت إلى تونس

2-الطرق التي ظهرت في تونس و إنتقلت إلى الجزائر

رغم الخلافات و الحروب التي كانت بين الإيالتين وجد جانب آخر إيجابي يتمثل في الصلات الفكرية و الروابط االعلمية ، فتمثل هذا الجانب في الرحلات العلمية و الطرق الصوفية ، مما يجسدان لنا بوضوح مدى التواصل الفعال بين الإيالتين ، و ربطها بأواصر أخوية و إنسانية و ثقافية و دينية ، و هذا ما سنوضحه في هذا الفصل .

المبحث الأول : الرحلات العلمية بين علماء الحاضرتين

تعتبر الرحلات العلمية المتبادلة بين الإيالتين أحد روافد الحياة العلمية حيث لعبت دوراً لا يستهان به في النهوض بالحياة العلمية في إيالة الجزائر و تونس فقد برز العديد من العلماء الذين جسدوا هذا المظهر من التواصل العلمي و ذلك من خلال أسفارهم و تنقلاتهم ، التي تندرج ضمن ما يعرف بالرحلات العلمية .

أ- مفهوم الرحلة :

لغة : تدل على مضي في سفر يقال رحل يرحل رحلة و حمل رحيل ذو رحل ، أي له القوة على السير، و يقال رجل رحول و قوم رحَل ، أي يرتحلون كثيرا و رجل رحال عالم بذلك مجيد له[1].

إصطلاحاً : فهي تعني حركة التنقل التي يقوم بها فرد أو أفراد من مكان لآخر لتحقيق مقاصد عديدة في الحياة ، سواء كانت دينية أو علمية .[2]

---

[1]- جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري إبن منظور :**لسان العرب** : ج3،(د.ط) ، المؤسسة المصرية لتأليف و الأنباء و النشر، القاهرة،(د.س.ن)،3،ص294.

[2]- عواطف محمد يوسف نواب : **الرحلات المغاربية و الأندلسية مصدر من مصادر تاريخ الحجاز في القرنين السابع و الثامن هجريين**، (د.ط)، مكتبة الملك فهد الوطنية ، الرياض ،1417هـ، ص41.

و يرى إبن خلدون أن الرحلة في طلب العلم و لقاء المشيخة مزيد كمال في التعلم و عليه فالرحلة شئ لابد منه في طلب العلم لإكتساب الفوائد و الكمال و لقاء المشايخ و مباشرة الرحال .[1]

المطلب الأول : علماء الجزائر في تونس

كانت المدن التونسية من أهم الحواضر العلمية في العالم الإسلامي خلال العهد العثماني ، فلذلك قصدها علماء الجزائر في هذه الفترة و أشهرهم :

1-**عيسى بن محمد بن عامر الجعفري:** (1020-1080هـ/1611-1669م)

أصله من وادي يسر من وطن الثعالبة بالجنوب الشرقي من مدينة الجزائر فقد نشأ و ترعرع في منطقة القبائل الكبرى ثم إنتقل إلى العاصمة للأخد من علمائها و بعدها شد رحاله نحو تونس ثم المشرق العربي ، حيث وافاه الأجل بمكة المكرمة، و له تآليف حافلة لعل من أبرزها : فهرسة معنونة بـــــــــــ" كنز الرواة المجموع في درر الحجاز" ، و " تحفة الأكياس في حسن الظن بالناس".[2]

2-**أبو العباس أحمد بن قاسم بن محمد الساسي التميمي البوني :** (1063-1139هـ/ 1653-1726م)

هو أحد علماء بونة و من فقهاء المالكية و علماء الحديث ، من أسرة عريقة مشهورة بالعلم و التصوف أخد تعاليمه الأولى من مسقط رأسه ثم إرتحل إلى المشرق ثم مصر، و مكث زمناً طويلا في تونس حيث قرأ على عدد من

---

[1]- عبد الرحمن إبن خلدون: **مقدمة العلامة إبن خلدون-المسمى ديوان المبتدأ و الخبر في تاريخ العرب و البربر و من عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر'طبعة جديدة و منفتحة،** دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع، بيروت، لبنان،1427-1428هـ/2007م، ص 591.

[2]- عادل نويهض **: معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر**، ط2، مؤسسة نويهض للتأليف و الترجمة و النشر، بيروت ،1980 ،ص91.

أساتذتها و أجاز و أجيز، ثم عاد إلى وطنه و في مسقط رأسه شرع في التدريس و التأليف ، و من أشهر آثاره منظومة في التاريخ المسماة " الدرة المصونة في علماء و صلحاء بونة " .[1]

3-**عبد الرزاق إبن حمادوش** : (1107هـ/1695)

هو عالم عرف بإهتمامه بالفقه و الآدب و التاريخ كما عرف بميله للعلوم الرياضية و الطبية ، إذ هو صيدلي و فلكي و منطقي و من أهم تآليف " فتح المجيب في علم التكعيب " و " الجوهر المكنون في بحرالقانون ".[2]

تلقى تعليمه عن طريق الدرس و الإجازة و الرحلة فضلا عما تلقاه من تحصيل على أيدي علماء جزائرين أمثال: " القاضي بن رمضان العنابي"[3] و الأديب "محمد بن ميمون الجزائري"[4] ، كما درس على يد الشيخ "محمد زيتونة التونسي" .[1]

---

[1]- أحمد بن قاسم البوني : **الذرة المصونة في علماء و صلحاء بونة**، تق و تح :سعد بوفلاقة، ط1، منشورات بونة للدراسات و البحوث ، الجزائر ، 2007، ص - ص 46 - 47.

[2]- عبد الرزاق بن حمادوش : **لسان المقال في النبأ عن النسب و الحسب و الحال- رحلة بن حمادوش** ،تق و تح: أبوقاسم سعد الله ،(د.ط)، (ش.و.ن.ت)، الجزائر ، 1983، ص- ص 253-255.

[3]- مصطفى بن رمضان العنابي : ولد الشيخ بمدينة عنابة و هو كرغلي الأصل ، درس عللى أيدي مشايخ مدينة الجزائر طالباً للجاه و النفود و أجيز على يد عدد من علمائها ، و بها تزوج و تولى منصب القضاء الحنفي ، و تخرج على يده علماء من مختلف البلدان كإبن برناز التونسي ، له مؤلفات منها: " أرجوزة في الفقه الحنفي (الفرائض) و كتب الروض البهيج في أحكام العزوبة و التزويج.توفي الشيخ في مدينة الجزائر عام (1122هـ/1710م)، ينظر: حسين إبن المفتي : **تقييدات إبن المفتي في تاريخ باشوات الجزائر و علمائها** ،جمع و تح: فارس كعوان ،ط1، بيت الحكمة ، الجزائر،2009، ص16.

[4]- أحمد ميمون الجزائري : هو أبوعبد الله محمد بن ميمون الزاوي النجارالجزائري المولد و النشأة و الوفاة ، عاصر الداي محمد بكداش و صهره أوزون حسن، درس جميع علوم عصره ، كان

4-**أبو زكرياء يحي بن الصالح** : (1126هـ /1714م،1202هـ/1787م)

المعروف بإسم "عمي يحي" الذي ولد ببني يزقن عام ، و بعد مضي زمن من حياته رحل إلى جربة و مكث مدة إثني عشرة سنة يتتلمذ على يد الشيخ " أبي يعقوب يوسف بن أحمد المصعي" ، و عند رجوعه إلى ميزاب تصدر للتدريس في المسجد ، و ممن تخرج على يديه الشيخ "ضياء الدين الثميني" و "الحاج اليسحني" مما دفع البعض إلى القول بأنه يعتبر مؤسس النهضة العلمية بوادي ميزاب، توفي رحمه الله في مسقط رأسه . [2]

5-**الورثيلاني** : (1115هـ/1713م)

هو الحسين بن محمد بن سعيد الشريف الورتيلاني ، ولد في بني رثيلان بالقرب من بجاية ، ينحدر من أسرة شريفة عربية عريقة في العلم و التدريس و التصوف و الإفتاء و الصلح ، حفظ القرآن في سن مبكرة ، ثم أخد في طلب العلم من مختلف الزوايا ، تعلم الفقه و النحو و التصوف و التوحيد و اللغة و الأدب و العروض و التاريخ ، حج ثلاث مرات لبيت الله الحرام [3].

من مؤلفاته "نزهة الأنظار في فصل التاريخ و الأخبار"، يعرف بالرحلة الحجازية ، زار تونس و أقام بها في سنتي (1766-1767م) ، حيث عبر في

يغلب44 عليه التصوف ، و هو من الفقهاء المقلدين ، توفي 884هـ. ينظر: إبن ميمون الجزائري : المصدر السابق،ص ص 11 13.

[1]- أبوقاسم سعد الله : **تاريخ الجزائر الثقافي** ،ج2، ص ص 425- 426.

[2]- يوسف بن بكر الحاج سعيد :تاريخ بني ميزاب، دراسة إجتماعية و إقتصادية و سياسية،(د.ط)، الطباعة الشعبية للجيش، الجزائر،2007،ص8.

[3]- أحمد بن عبد السلام الحليوي : **المؤرخون التونسيون في القرون السابع عشر و الثامن عشر و التاسع عشر** ،(د.ط)، بيت الحكمة ، تونس ، 1993، ص 71.

رحلته عن مدى إعجابه بما شاهده في تونس من إزدهار للعلم في جامع الزيتونة فأشاد بتفوق العاصمة التونسية في هذا المجال .[1]

6- أبو راس الناصر :

هو أبو راس الناصر بن أحمد بن عبد القادر حمد بن أحمد بن ناصر الجليلي ولد بضواحي مدينة معسكر سنة 1751م ، إنتقل هو الآخر لطلب العلم من تونس و بلدان عربية مجاورة كمصر و المغرب ، عرف بغزارة مؤلفاته لشغفه بالكتابة التي أعطاها معظم وقته و مؤلفاته التي فاقت المائة و أربعة و ثلاثين مؤلفا من أبرزها " الأحكام الجوازل في بند النوازل " ، "الأنوار الجليلة في شرح القصيدة الخليلة" ، توفي رحمه الله في 3 جمادى الثاني عام 1238هـ .[2]

المطلب الثاني : علماء تونس في الجزائر

من أشهر العلماء الذين طرقوا أبواب الجزائر نجد:

1-محمد تاج العارفين بن أحمد البكري العثماني : (1037هـ/1628م)

هو أوائل من تولى الإمامة بجامع الزيتونة من بيت البكرين ، تلقى الشيخ تحصيله العلمي على عدد غزير من العلماء و منهم الشيخ "عيسى الثعالبي الجزائري"، له تآليف عديدة من أهمها "أعمال النظر البكري في تحرير الصاع النبوي التونسي"[3].

2-إبن برناز : (1074هـ/1677م،1138هـ/1726م)

هو أحمد بن مصطفى بن شيخ بن مصطفى الشهير بقارة خوجة المعروف بإبن برناز الحنفي من سلالة الأتراك المستقرين بتونس، حفظ القرآن الكريم درس العلوم على أيدي مشايخها خاصة الشيخ محمد قنانة ، و قد جال إبن

[1]- أحمد بن عبد السلام الحليوي : المرجع السابق ، ص72.

[2]- عمار هلال : المرجع السابق، ص-ص 66-67.

[3]- محمد محفوظ: **تراجم المؤلفين التونسين** ، ج2، ط1، دارالغرب الإسلامي ، بيروت ،1982، ص 54.

برناز معظم القطر الجزائري لتحصيل العلم ، و قصد قسنطينة ، و أخد من مفتيها " بركات بن باديس" [1].

ثم توجه إلى بلاد القبائل و درس على يد الشيخ "محمد الفاسي" ، و بعدها عاد إلى وطنه ليتولى الإمامة و الخطابة بالجامع ، و أمتهن تدريس الحديث بجامع الزيتونة ، و لإبن برناز تآليف عديدة منها : "أعلام الأعيان بتخفيفات على العبيد و الصبيان" ، "تزين القرة بمحاسن الدرة في القراءات الثلاث الزائدة عن السبع".[2]

2-**محمد البشير بن محمد الطاهر بن السعيد الشريف التواتي :(1211هـ/1892م)**

هو تونسي المولد و الأصل ، من مشايخه الشيخ "محمد بن إدريس" و "أبو الفلاح صالح النيفر" و غيرهما، و من تلامذته "محمد بن الوشة" و الشيخ "محمد المولدي ين عاشور" و غيرهما ، و من أهم مصنفاته " ثبت" ، أما التواتي ضمها إلى إسمه نسبة إلى رجل صالح من أهل توات إتصل به و أخد عنه العلم [3].

[1]- باديس بركات :من عائلة إبن باديس الشهيرة بقسنطينة ، درس على يدي إبن الفكون بقسنطينة و هو من علماء القرن الحادي عشر للهجرة ، توفي سنة 1107هـ من مؤلفاته "مفتاح البشارة في فضل الزيارة ". ينظر : إبن حمادوش : المصدر السابق ، ص13

[2]- محمد محفوظ : المرجع السابق ،، 122.

[3]- نفسه ، ص 252.

المبحث الثاني : الطرق الصوفية بين الإيالتين

تعتبر الطرق الصوفية أحد أشكال و أساليب التواصل الثقافي بين الإيالتين حيث لعبت أدوارًا هامة و فعالة من أجل تقارب شعبي القطرين ، فلقد كانت هناك طرق منتشرة في إيالة الجزائر و كان أصلها من إيالة تونس ، و العكس صحيح .

1-مفهوم التصوف :

لغة : التصوف مصدر الفعل الخماسي المصوغ من "صف" للدلالة على لبس الصوف.[1]

إصطلاحاً : هو العكوف على العبادة والانقطاع لله و الإعراض عن زخرف الدنيا و زينتها و الزهد فيما يقبل عليه الجمهور من لذة و مال وجاه و الانفراد عن الخلق في الخلوة للعبادة ، و كان ذلك عاماً في الصحابة و السلف .[2]

و يرى "ابن القيم" أن التصوف رياضة للنفس و مجاهدة للطبع الإنساني بكفه عن الأخلاق الرذيلة و حمله على الأخلاق الجميلة للفوز بالدنيا و الآخرة [3].

2-مفهوم الطريقة أو الطريق الصوفي :

هي السبيل الذي يسلكه المريد وصولا إلى المراد ، أو هي السيرة المختصة بالصوفية السالكين إلى الله تعالى ، فهي سفر إلى الله تعالى والسالك إلى الله تعالى أو المريد هو المسافر، فعلى المسافر إلى الله أن يسلك طريق القوم و أن يجتازها مرحلة بعد مرحلة .[4]

---

[1]- محمد بن عبد الكريم : **التصوف في ميزان الإسلام** ، مطبعة النهضة ، وهران (د.ت)، ص 14.

[2]- عبد الرحمن إبن خلدون : المصدر السابق ، ص517.

[3]- سبنسر ترمنجهام : **الفرق الصوفية في الإسلام** ، تر: عبد القادر البحراوي، ط1، دار النهضة العربية ، بيروت ، 1997، ص 55.

[4]- حسن العاصي : **التفسير القرآني و اللغة الصوفية في فلسفة إبن سينا**، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع،1982،ص20.

من خلال هذا التعاريف يتضح لنا أن التصوف حالة من حالات الوجدان بدايته تكون إرادية بالمعنى الاختياري ، ثم الإنتقال إلى مرحلة الإتصال بالله إلى درجة الذوبان والفناء في حبه.

المطلب الأول : الطرق التي ظهرت في الجزائر و إنتقلت إلى تونس

من أهم الطرق الصوفية التي ظهرت في الجزائر ثم إنتقلت إلى تونس نجد: الرحمانية و التيجانية .

1-الطريقة الرحمانية :

هي فرع من من الطريقة الأم الخلوتية[1] ، و تنسب في الجزائر إلى مؤسسها محمد عبد الرحمن القشتولي الجزائري (1720م-1739م) ، من قبيلة آيت إسماعيل[2].

واصل الشيخ تعليمه الأول في مسقط رأسه ثم درس بالعاصمة ، و في عام 1739م توجه إلى المشرق لأداء فريضة الحج و أثناء عودته إستقر بالأزهر فترة طويلة يتردد فيها على علمائها و كبار متصوفيها كالشيخ "محمد بن سالم الحنفاوي" الذي عمل على إذخاله الطريقة الخلوتية و حثه في العديد من المرات على القيام بمهمة الدعوة بها ، ولبى الشيخ كلام شيخه و قام بالدعوة في كل من الهند و السودان و لقي نجاحا باهراً .[3]

---

[1]- الطريقة الخلوتية : إستمدت تسميتها من مؤسسها الفعلي عمر الخلواتي أحد الصالحين ، عاش في عزلة تامة و في خلوة فردية، توفي بقصرية في سوريا عام 1398م . ينظر التليلي العجيلي : **الطرق الصوفية و الإستعمار الفرنسي بالبلاد التونسية (1881- 1939)**، منشورات الأزهري ،تونس ، 1992، ص49.

[2]- آيت إسماعيل : قبيلة كانت جزءاً من حلف قشتولة في قبائل جرجرة .ينظر : محمد المختار فيلالي : **نشأة المرابطين و الطرق الصوفية و أثرهما في الجزائر خلال العهد العثماني** ،ط1، دار الفن القرافيكي للطباعة و النشر ،الجزائر ، (د.س.ن).

[3]- أبو قاسم سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي** ، ج1، ص508.

عاد الشيخ عبد الرحمان القشتولي إلى الجزائر عام 1769 م نزولا عند أوامر شيخه ثانية ، و أسس فيها زاوية قام فيها بنشر العلم و السلوك الصوفي على نهج الطريقة الخلوتية فورد عليه المريدون من كافة أنحاء الجزائر و تونس و المغرب ، إلا أنه سرعان ما قامت ضده معارضة ، هذه الظروف أدت به إلى العودة مجدداً إلى مسقط رأسه و بقي فيها حتى وافاه الأجل عام 1793م .[1]

أما في تونس قد بدأت الطريقة تظهر منذ أواخر القرن الثامن عشر، و قد عين الشيخ عبد الرحمان القشتولي "مصطفى الطرابلسي" أحد أتباعه للدعوة و نشر الطريقة و بوفاته عام 1776م عوضه بـــــ "أحمد بن علي بوحجر" الذي تمكن من بث أصول الطريقة بنجاح في الوسط التونسي .[2]

2-الطريقة التجانية :

تنسب هذه الطريقة للشيخ أبي العباس أحمد بن محمد بن سالم المختار التجاني ، من مواليد عين ماضي بالأغواط سنة 1737م ، نشأ في في وسط أسرة شريفة مشبعة بالعلم و التصوف و تلاوة القرآن ، حفظ القرآن الكريم في صباه على يد الشيخ "أبي عبد الله بن حمو التجاني"، و أخذ الشيخ أحمد يتردد بين الصحراء و تلمسان إلى غاية ذهابه إلى الحج، أين أخذ عن الشيخ القشتولي الطريقة الرحمانية أثناء مروره بمنطقة القبائل و توقف بعض الشئ في تونس بعدها عاد إلى الوطن متنقلا بين تلمسان و فاس ، ثم قصد توات للإنعزال في إين سمغون .[3]

و في هذه البلدة أعلن أمام جمهور مريديه عام 1782م ، بأن الله قد فتح عليه الفتح الأكبر قائلا بأن النبي صلى الله عليه و سلم قد صرح له بأنه

---

[1]- سبنسر ترمنجهام : المصدر السابق ، ص60.

[2]- مختار الطاهر الفيلالي : المرجع السابق ، ص- ص 40-41.

[3]- أبو قاسم سعد الله : تاريخ الجزائر الثقافي ، ج1، ص- ص 510-511.

شيخـــــــه كافله و أمره بترك جميع الطرق الأخرى و منعه من زيارة الأولياء قائلا سوف أكون وسيطك لدى الله و مساعدك و معاونك ، كما لقنه الذكر و الورد الذي أملاه على أتباعه و هذه الرؤية هي التي زادت في عزيمته ، و جعلته ينظم أتباعه في طريقة جديدة ظل يدعوا لها بكل جد و نشاط قرابة ثمانية عشر عاماً و هو متجول عبر الصحراء و توات و السودان الغربي و تونس ، منشئاً في الأماكن زوايا و معيناً مقاديم يسهرون على نشر تعاليم طريقته .[1]

و بوفاته بفاس سنة 1230هـــ/1815م تولى القيادة الروحية للطريقة الشيخ "علي بن عيسى التماسيني[2].

عمل هذا الأخير على توسيع الزاوية بفضل جهوده و جهود أبنائه ، فقد كان للإتصالات بين واد سوف و القطر التونسي دوراً في وصول إشعاعات هذه الطريقة أكثر إلى البلاد التونسية ، فقد رحل "الطاهر بن عبد الصادق لقماري" إلى توزور بالجنوب التونسي بأمر الحاج علي تماسني ، أما فيما يتعلق بمشاهير التونسين من التجانين فنجد مثلا "محمود التونسي الشاعر ذنون" الذي نظم قصائد إمتدح فيها الشيخ و طريقته ، و أشهرهم على الإطلاق العلامة

---

[1]– همار هلال : **الطرق الصوفية و نشر الإسلام و الثقافة العربية بإفريقيا السمراء** ، مطبعة الجيش، الجزائر ، 2007، ص 121.

[2]– الحاج علي بن عيسى التمساني : ولد سنة 1180هـــ/1766م ، حفظ القرآن الكريم و هو صغير ، ثم توجه إلى التفقه في الدين و العلوم الشرعية

، كان أول لقاء له بالشيخ عام 1217هـــ/1803م و أجازه الشيخ بالإطلاق و التربية و أمره ببناء زاوية جديدة بتملاحت ، و قد أتمها سنة 1220هـــ/1805، و في 1230هـــ/ 1815، نصبه على رأس الطريقة خليفة له ، توفي الشيخ سنة 1260هـــ/ 1844م. ينظر: التليلي العجيلي : المرجع السابق ، ص52.

"إبراهيم الرياحي التونسي" الذي نال شرف مشيخة الطريقة في تونس، بل و يعتبر في نظر أتباعها ناصرها و حامي ذمارها.[1]

المطلب الثاني : الطرق التي ظهرت في تونس و إنتقلت إلى الجزائر

أما بالنسبة للطرق الصوفية التي ظهرت في تونس ثم إنتقلت إلى الجزائر أهمها الطريقتين : الشابية و الشادلية .

1-الطريقة الشابية :

هي طريقة قديمة و الشابية تنسب إلى مؤسسها أحمد بن مخلوف[2] ، و إن مرجعها و أصلها شادلي شأنها شان الطرق الأخرى المتفرعة من الطريقة الشادلية[3] فإذا كان الشيخ إبن مخلوف الممهد الأول للطريقة ، فإن إبنه سيدي

---

[1]- عمر بن محمد بن علي الشيخ إبراهيم الرياحي : **تعطير النواحي بترجمة الشيخ سيدي إبراهيم الرياحي** ، ط1، مطبعة بكار و شركائه ، تونس ، 1321هـ ، ص - ص 27- 28.

[2]- أحمد بن خلوف الشابي : (835-895هـ/1431-1492م)، لقبه صوفية المشرق بزهرة أهل المغرب المنعمة ، أسس مدرسة التربوية بتونس و أدى فريضة الحج عام (878هـ/1473م)، تتلمذ على يده أقطاب التصوف أمثال أحمد المقنعي الحناشي الجزائري ، بدأ حياته معلماً للقرآن و ناشر للأمن في الريف و الصحراء الشرقية التي عرفت فوضى عارمة أواخر العهد الحفصي و بداية العهد العثماني ، و تولى أيضاً جامع الدروني بالقيروان ، و كان الشيخ عالماً باللغة و حافظاً لكتاب الله ، مشاركاً في علوم عصره . ينظر : محمد الأمين بلغيث : **الشيخ بن عمر العدواني مؤرخ سوف و الطريقة الشابية** ،ط2، دار كتاب الغد للنشر و التوزيع ،الجزائر ،2008،ص99.

[3]-. الطريقة الشادلية : تنسب إلى مؤسسها الشيخ أبي الحسن علي بن عبد الله بن عبد الجبار الشادلي ، المولود ببلدة غمارة قرب مدينة سبة بالمغرب الأقصى عام 593هـ/1196م ، حفظ القرآن الكريم و درس العلوم الدينية واللغوية ، ثم رحل إلى تونس و تتلمذ على يد كبار علمائها فإزداد علماً و فقهاً و تصوفاً ثم إنتقل ليستقر ببلدة شادلة بتونس التي تنسب إليها و عرف بها ، و نتيجة لمضايقات رحل إلى الإسكندرية إلى أن توفاه الأجل سنة 656هـ، ودفن بصحراء عيذاب المصرية ، و تاريخ تأسيس هذه الطريقة يعود إلى القرن 13هـ ، و هي من أقدم الطرق الصوفية ظهوراً و إستقراراً و أول الطرق التي أدخلت التصوف إلى بلاد المغرب بالموازاة مع الطريقة القادرية . ينظر: صلاح مؤيد : المرجع السابق ، ص 99.

عرفة الشابي يعتبر المؤسس الحقيقي لها لكونه جعل من الشابية منهجًا و مسلكاً دينياً و تعرضت هذه الطريقة إلى معارضة شديدة من طرف السلطات العثمانية في تونس لذلك خبئث بعض الشيئ ثم عادت للظهور مجددا تحت مسمى جديد بـــــ: "بيت الشريعة" .[1]

و نجد من أهم الشخصيات الشابية الفاعلة و المؤثرة شخصية "الشيخ المسعود الشابي"[2] ، الذي كان له دور بارز في أحداث تونس و الجزائر و مدينة واد سوف تشهد له بعملين من أعماله فيها الأول بنائه مسجدين الأول بالوادي و الثاني بقمار سنة 1597م.[3]

هذا عن نشاطه في مدينة واد سوف و هو لا يقارن أبداً بحجم تأثيره السياسي في ساحة الإيالتين ، حيث ناهض السلطة المركزية في كل من الجزائر و تونس و بسبب توتر علاقاته مع الإيالة التونسية لجأ إلى جبل بششار(بالقرب من خنشلة) و أقام فيه زاوية[4] .

و في هذه المنطقة و ما جاورها إستطاع أن يبين له نفوذاً دينياً واسعاً إمتد إلى كل من سوق أهراس و تبسة ، بل كانت القبائل و الأسر في منطقة الأوراس تثور على السلطة و هي مدعمة بقوة الشابية ، كما سعت هذه الطريقة

---

[1]– عمر بن محمد بن علي الشيخ إبراهيم الرياحي : المصدر السابق ،ص30.

[2]– المسعود الشابي : هو المسعود بن محمد الشابي بن أحمد بن مخلوف ، و هو ثالث حفيد لإبن مخلوف ، إنتقلت به أسرته عقب سقوط الإمارة الشابية على يد العثمانين و الإسبانين عام 1557م إلى توزور وهو صغير حفظ القرآن الكريم ، و تتلمذ على يد شيوخ أجلاء كالشيخ التواتي ، و بعد أدائه فريضة الحج سنة 1594م ،إتصل بعلماء مصر كمحمد بن أبي القاسم المصري المالكي و ناقش آرائهم، من أهم مؤلفاته "الفتح المنبر" ، ينظر: محمد بن عمر العدواني : المصدر السابق ،ص 110.

[3]– أرزقي شويتام، " العلاقات الثقافية الجزائرية المغاربية (العهد العثماني) "، **مجلة الدراسات التاريخية** ، العدد13، جامعة الجزائر، 1433هـ/2011م ، ص15 .

[4]– محمد الأمين بلغيث : المرجع السابق، ص 38 .

للإرتكاز على قاعدة شعبية توفر لها السند العسكري إن إحتاجت إليه، لذلك إتحدت مع كبرى القبائل المؤثرة في علاقات كلا البلدين ألا و هي قبيلة الحنانشة ، و يفسر البعض تحالفها مع الحنانشة إلى خلفيات تاريخية لتلك العلاقات التي ربطت الحنانشة بشقيقه الشيخ "عبد الصمد الشابي" الذي كان له نفوذ في قسنطينة .[1]

2-الطريقة الشادلية :

تنسب هذة الطريقة إلى أبي الحسن علي الشاذلي ، ولد في مدينة غمارة [2] سنة (593 ه/1196 م) ، و توفي في مدينة عيذاب[3] سنة (656ه/1258 م) تصوف في تونس و هو أحد أعمدة التصوف الإسلامي في جميع العصور حج و جال في المشرق ، ثم عاد إلى مسقط رأسه و إتصل بالشيخ عبد السلام بن مشيش نحو(622 ه/1225 م) و أخذ طريقته عنه و مكث الشاذلي مع شيخه مدة ، ثم أمره بالإرتحال إلى تونس ، فإتجه إليها و إستوطن شاذُلة [4]، و إستقر بمدينة تونس ، و سنة 656 هـ سافر للحج و في صحراء عيذاب وافته المنية فدفن هناك .[5]

و من أهم الشخصيات المتشدلين الذي عرفتهم الجزائر نجد " أحمد زروق البرنسي الفاسي " و تلميذه " أحمد بن يوسف الملياني "، حيث ظهرت لها فروع في الجزائر حلت محلها و إن بقيت حاملة إسمها كصفة تقدم أو تؤخر فيقال مثلاً { الشادلية الزروقية } أو { الزروقية الشادلية } .[6]

---

[1]- محمد الأمين بلغيث : المرجع السابق، ص 39 .

[2]- إحدى قبائل الأمازيغ ، و هي منطقة جبلية تقع في شمال المغرب الأقصى .

[3]- مدينة على ساحل البحر الأحمر في مصر .

[4]- مدينة تقع في جنوب تونس.

[5]- صلاح مؤيد : المرجع السابق ، ص 92.

[6]- نفسه ، ص93.

الشادلية عند ظهورها في الجزائر فإنها صارت أمًا لأكثر من طريقة و منها : اليوسفية ، االزيانية ، السنوسية ، الشيخية ، الكرزازية ، الطيبية ...إلخ .

و في ختام هذا الفصل نستنتج ما يلي:

1- أن كل من الرحلات العلمية و الطرق الصوفية المتبادلة بين إيالة الجزائر و إيالة تونس مظهراً مشرفاً و نبيلاً ، و كانت مرآة صادقة تعبر عن صور تلك الأواصر الأخوية التي جمعت بين الإيالتين .

2- إن العلاقات العلمية بين الإيالتين لم تكن وليدة العهد العثماني بل وجدت حركة نشيطة سبقت الفترة المدروسة .

3- ساهمت كل من الرحلات و الطرق الصوفية بشكل كبير في إزدهار الحياة العلمية و الروحية في كل من إيالتي الجزائر و تونس .

خاتمة

خاتمة

بعد دراسة موضوع التواصل العلمي بين إيالتي الجزائر و تونس خلال العهد العثماني (من القرن 15 إلى18 م) "الرحلات و الطرق الصوفية أنموذجاً" نخلص إلى مجموعة من النتائج هي كالتالي :

أولاً : أن كل من تاريخ الجـــزائر و تونس يشكل وحدة ثقافية و حضارية طالما حملت في طياتها أبعاداً مختلفة من دين و لغة ، و تاريخ و مصير مشترك فهذا التراث ما يزال يحتفظ بكثير من أصالته و أسراره ليومنا هذا.

ثانياً : أن الحياة العلمية في الإيالتين تميزت في عمومها بالركود و الجمود و إجترار ما فات بالرغم من وجود العديد من المؤسسات الثقافية كالمدراس و المساجد و الكتاتيب و من جهتها إمتاز المشهد الثقافي في هذه الفترة بتأثر المجتمع في غالبيته بظاهرة التصوف و إنتشار الزوايا على نطاق واسع.

ثالثاً : مثل القرن الثامن عشر للميلاد و ما سبقه (17/16/15م) جسرا للإتصال و التواصل بين الإيالتين بفضل تنقل العلماء بين هذة الأقطار من بينهم الشيخ الورثيلاني و إبن حمادوش.

رابعاً : إن الرحلات العلمية المتبادلة بين الإيالتين في الفترة المدروسة ، لم تكن إعتباطية بل كانت لأوضاع مترديةعاشها علماء الحاضرتين فكانت وجهة الجزائريين جامع الزيتونة و تونسيين كانت وجهتهم مدينة الجزائر حيث نجد الجامع الكبير العنوان الأبرز في إستقطاب علماء تونس .

خامساً : ساهمت الطرق الصوفية في تشجيع حركة تنقل الشيوخ و الطلبة بين البلدين غير مبالين بالحدود الجغرافية و السياسية التي رسمها الحكام و ذلك في سبيل تحقيق زيارة لهذا الولى أو ذاك القطب .

سادساً : لقد أثمرت عملية التواصل العلمي بين إيالتي الجزائر و تونس من خلال الرحلات و الطرق الصوفية في الفترة العثمانية من القرن(15إلى 18م) في إعطاء هوية للمنطقة المغاربية مازلنا متشبعين بها في قيمنا لحد الآن.

و بهذه الإستنتاجات نكون قد حاولنا الإجابة قدر المستطاع عن الإشكاليات المطروحة في مقدمة الدراسة، فإننا رغم ما قدمناه في هذا العرض فإننا لن نوفي الموضوع حقه ، و ما هي إلا محاولة متواضعة لإماطة اللثام عن فترة زمنية من حياة بعض العلماء الذين تركو بصماتهم في وطن غير وطنهم ، وإنه ليعز علينا ذكرهم ، و في الأخير فإن وفقنا فمن الله عز وجل ، و إن كان غير ذلك فحسبنا أننا قد إجتهدنا و لكل مجتهد نصيب و ما توفيقنا إلا بالله عليه توكلنا و إليه ننيب.

الملاحق

الملحق رقم 01 : خارطة الجزائر خلال العهد العثماني.[128]

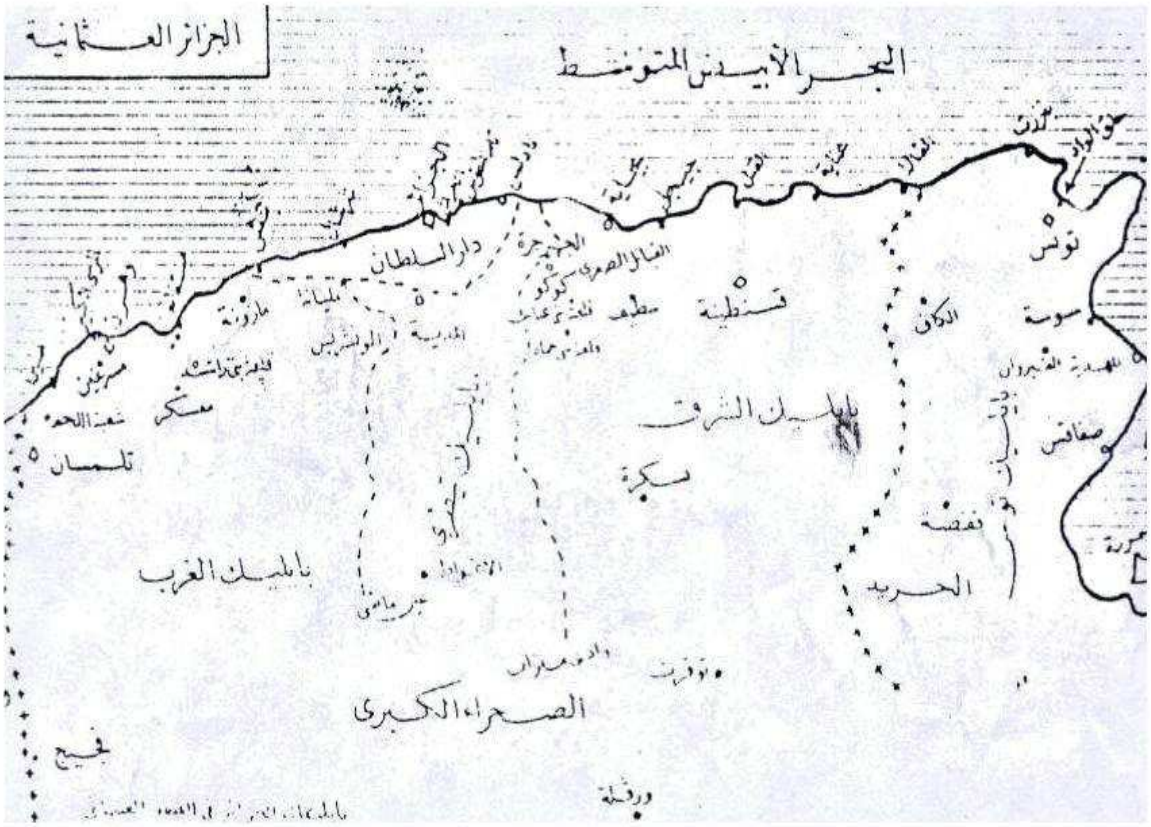

[128]- عبد القادر حليمي : مدينة الجزائر نشأتها و تطورها قبل 1830م دراسة في جغرافية المدن ،المطبعة العربية لدار الفكر الإسلامي،الجزائر،1972،ص 294.

الملحق رقم 02 : تونس خلال القرن السابع عشر[129]

130

[129]– بنشرايت جو–أو ها: المصدر السابق، ص 52.

الملحق رقم 03 : جامع الزيتونة بتونس أهم المراكز العلمية التي كانت وجهة الجزائرين .[131]

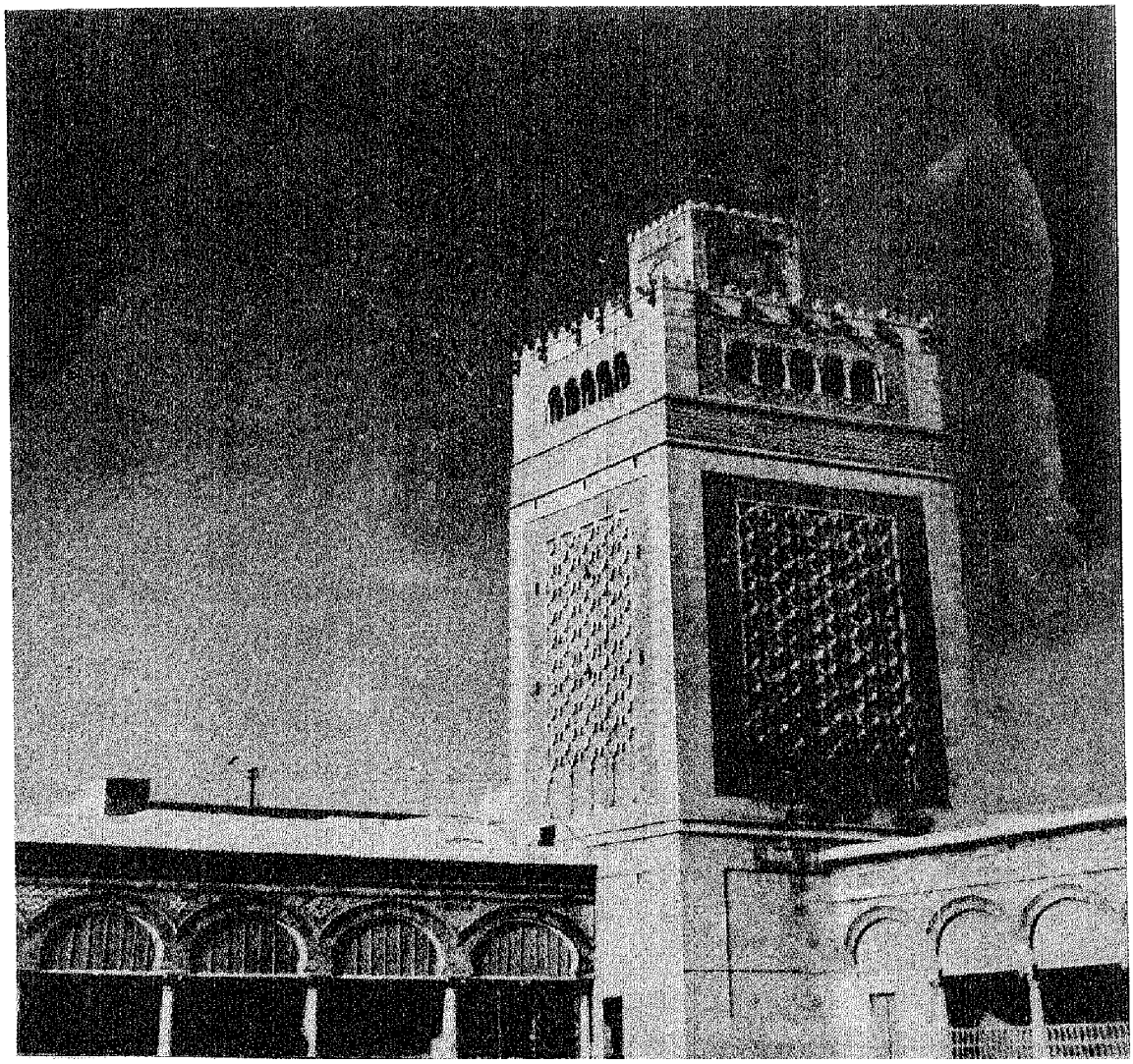

[131]– إبن خوجة محمد : صفحات من تاريخ تونس ، تق وتح : حمادي الساحلي ، الجيلاني بن الحاج يحى، ط1 ، دارالغرب الإسلامي ، تونس ، 1968 ، ص286 .

الملحق رقم 04 : منظر عام لمدينة القيروان و تتجلى فيه مئذنة جامع عقبة الشهيرة .[132]

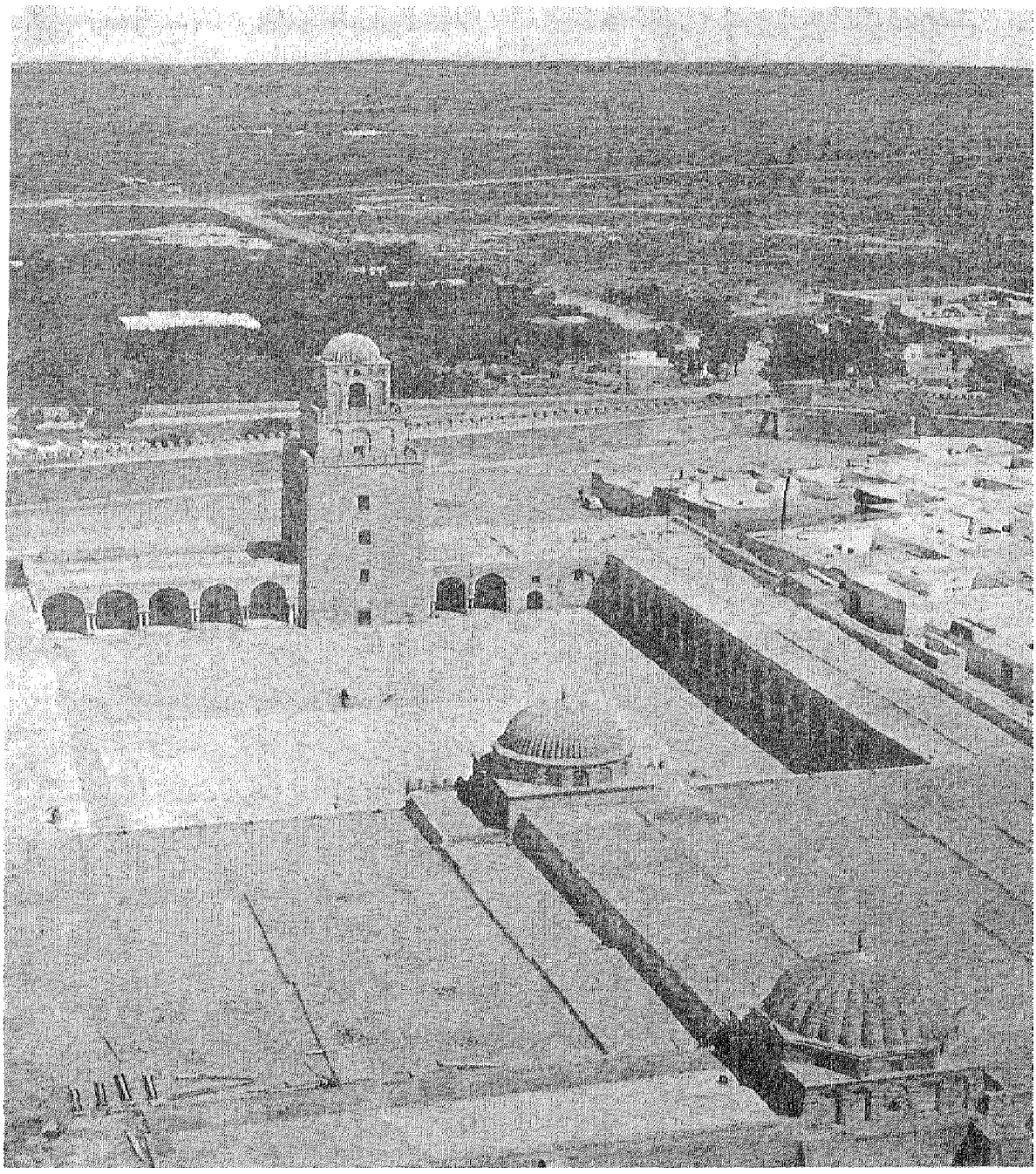

[132]- محمد بن خوجة : المصدر السابق، ص71.

الفهارس

فهرس الأماكن :

الجزائر..... 15-17-20-21-22-43.

القيروان.....34.

بجاية.....32.

تونس.....16-18-19-20-21-25-26.

شاذُلة.....66

عيذاب.....66

غمارة.....66

قرطاجة.....16.

قسنطينة.....17-32.

فهرس الأعلام

أحمد بن خلوف الشابي.....56

أحمد ميمون الجزائري.....48

برناز.....50

حمودة باشا.....29

راس ناصر.....50

زكرياء يحي بن صالح.....49

سعيد بن قدورة.....25

عباس بوني.....47

عبد الرزاق حمادوش.....48

عبد الكريم فكون.....25

عيسى بن محمد بن عامر جعفري.....47

محمد تاج عارفين.....50

مسعود شابي.....57

مقري تلمساني.....25

مصطفى عنابي.....48

ورثيلاني.....49

فهرس الموضوعات :

الإهداء

الإهداء

شكر و عرفان

قائمة المختصرات

مقدمة.....أ

الفصل الأول : العوامل المساهمة في التواصل بين الإيالتين

المبحث الأول : العامل الجغرافي و السياسي.....14

العامل الجغرافي.....14

العامل السياسي.....17

المبحث الثاني: العامل الثقافي و الحضاري.....20

العامل الثقافي.....20

العامل الحضاري.....23

الفصل الأول: المراكز العلمية في الإيالتين

المبحث الأول : المراكز العلمية في الجزائر.....32

المساجد و المدارس و الكتاتيب القرآنية.....32

الزوايا 35

المبحث الثاني: المراكز العلمية في تونس.....37

الجوامع.....37

المدارس و الزوايا.....41

الفصل الثالث: مظاهر التواصل الثقافي بين الإيالتين

المبحث الأول : الرحلات العلمية.....46

علماء الجزائر في تونس.....47

علماء تونس في الجزائر.....50

المبحث الثاني: الطرق الصوفية.....51

الطرق التي ظهرت في الجزائر و إنتقلت إلى تونس.....53

الطرق التي ظهرت في تونس و إنتقلت إلى الجزائر.....55

خاتمة.....61

ملاحق.....64

فهرس الأماكن.....69

فهرس الأعلام.....70

فهرس المحتويات.....71

قائمة المصادر و المراجع.....75

المصادر والمراجع

أولاً: <u>المصادر</u>:

1- أندلسي أبو عبد الله محمد : الحلل السندسية في الأخبار الأندلسية ، ط1، مطبعة الدولة التونسية ، تونس ، 1287 .

2- بربروس خير الدين : مذكرات خير الدين بربروس ، تر: محمد حراج ، شركة الأصالة للنشر و التوزيع ، الجزائر، 2010 .

3- بنشرايت جو أو ها: رحلة إلى الجزائر و تونس و طرابلس (1145هـ/1732) ، تر و تح : ناصر الدين سعيدوني ، دار الغرب الإسلامي ، تونس، 2008 .

4- بوني أحمد قاسم : الذرة المصونة في علماء و صلحاء بونة ، تق و تح : سعد بوفلاقة، ط 1، منشورات بونة للدراسات و البحوث ، الجزائر ، 2008 .

5- ترمنجهام سبنسر: الفرق الصوفية في الإسلام ، تر: عبد القادر البحراوي ، ط1 ، دارالنهضة العربية ، بيروت، 1997 .

6- تمكروتي علي بن محمد : النفحة المسكية في السفارة التركية ، تر: عبد اللطيف الشادلي ، المطبعة المالكية ، الرباط ، 2000.

7- جزائري محمد بن ميمون : التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية ، تق و تح : محمد عبد الكريم ، ط1 ، (ش.و.ن.ت) ،الجزائر، 1972.

8- حشاشي محمد بن عثمان: العادات و التقاليد التونسية الهدية أو الفوائد في العادات التونسية ، دراسة و تح: الجيلاني محمد اليعلاوي ، سراش للنشر، تونس.

9- حضيكي أبي عبد الله بن أحمد : الرحلة الحجازية ، ط 1، ضبط و تعليق : عبد العالي لمدبر، مركز الدراسات و الأبحاث و إحياء الثرات، المغرب ،2011 .

10- حمادوش عبد الرزاق : لسان المقال في النبأ و الحال ، تق وتح : أبو قاسم سعد الله ، (د.ط) ،(ش.و.ن.ت) ،1983 .

11- حنفاوي أبو القاسم : تعريف الخلف برجال السلف ، تح: أبو الجفان عثمان بطيخ ، ج2 ، ط1 ، مؤسسة الرسالة و المكتبة العتيقة، الجزائر ، تونس ،2007.

12- حوقل أبو القاسم : المسالك و الممالك ، مطبع بريل ، ليدن ، 1872 هـــــ .

13- خلدون عبد الرحمن : مقدمة العلامة إبن خلدون " المسمى ديوان المبتدأ و الخبر في تاريخ العرب و البربر و من عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، طبعة جديدة و منقحة ، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع ، بيروت ،1427 -1128هـ/2007 .

14- خوجة محمد : صفحات من تاريخ تونس، تق و تح : حمادي الساحلي، الجيلاني بن الحاج يحى، ط 1، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1968 .

15- خوجة حسين : ذيل البشائر الإيمان لفتوحات آل عثمان ، تح و تق: الطاهر المعموري ، الدار العربية للكتاب ، تونس ، 1979 .

16- دينار محمد بن أبي القاسم الرعيني القيرواني : المؤنس في أخبار إفريقيا و تونس ، ط3 ، دار المسيرة ، بيروت ، 1993 .

17- دونان هنري : الإيالة التونسية ، تر: محمد فريد الشريف، المطبعة العصرية ، تونس ، 2002.

18- رياحي عمر بن محمد علي الشيخ إبراهيم : تعطير النواحي بترجمة الشيخ سيدي إبراهيم الرياحي ، ط1 ، مطبعة بكار و شركائه ، تونس ،1321ه .

19- سبينسر وليام : الجزائر في عهد رياس البحر، تر و تق: عبد القادر زبادية ، دار القصبة ، الجزائر، 2007.

20- سنوسي أبي عبد الله محمد بن عثمان: مسامرات الظريف بحسن التعريف ، تح: محمد شادلي النيفر ، ج1 ، ط1، دار الغرب الإسلامي، لبنان،1991.

21- شريف محمد الهادي : ما يجب أن تعرف عن تاريخ تونس ، تع: محمد شاوش و محمد عجينة ، ط 2، سراش للنشر،(ش.و.ن.ت)، 1985.

22- شريف محمد الهادي : تاريخ تونس من عصور ما قبل التاريخ إلى الإستقلال ، تر: محمد شاوش و محمد عجينة ، ط2، سراش للنشر، 1993.

23- فكون عبد الكريم : منشورات الهداية في كشف حال من إدعى العلم و الولاية ، تق: أبو قاسم سعد الله ، ط1، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ،1408- 1987.

24- قاسم أحمد: إيالة تونس العثمانية فتاوى إبن عظوم(1576-1600) ، تق: عبد الجليل التميمي ، منشورات مؤسسة التميمي ، تونس ، 2004 .

25- كاريخال مارمول : إفريقيا ، تر: محمد حجي ، محمد زنينير، محمد الأخضر أحمد توفيق ، أحمد بنجلوان ، ج2 ، دار المعرفة للنشر، (د.م.ن) ، 1989 .

26- مراكشي إبن غداري: البيان تامغرب في أخبار الأندلس و المغرب ، تح: كولان بروفيسنا، ج1 ، ط3 ، دار الثقافة ، لبنان، 1989.

27- مفتي حسين: تقييدات إبن مفتي في تاريخ بشاوات الجزائر و علمائها ، تح: فارس كعوان ، ط1، بيت الحكمة ، الجزائر،2009.

28- منظور جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري : لسان العرب ، ج3 ، (د.ط) ، المؤسسة المصرية لتأليف و الأنباء و النشر، القاهرة ، (د.س.ن).

29- وزان الحسن بن محمد: وصف إفريقيا، تر: محمد حجي ، محمد الأخضري ، دار الغرب الإسلامي، بيروت ،1983.

ثانياً: المراجع :

1- أحمد إسماعيل – محمود شاكر: تاريخ العالم الإسلامي، ج2 ، دار العبيكان ، (د.س.ن).

2- بكباشي محمد أفندي مختار: المجموعة عن الشفاهية في علم الجغرافية ، أركان حرب الجهادية ، 1294.

3- بلغيث محمد الأمين: الشيخ بن عمر العدواني مؤرخ سوف و الطريقة الشابية ، ط2 ، دار كتاب الغد لنشر و التوزيع ، الجزائر،2008 .

4- يحي بوعزيز: الموجز في الجزائر القديمة و الوسيطة ، ج1 ، دار المطبوعات الجامعية ، 2009.

5- تميمي عبد الجليل : دراسات في التاريخ العثماني المغاربي ، منشورات الجامعة التونسية ، تونس ، 1976.

6- حجر آمنة : موسوعة المدن الإسلامية ، ط1 ، دار أسامة للنشر و التوزيع ، عمان ، 2002.

7- حسناوي لزهر: أطلس الدول العربية ، منشورات نوميديا ،2010 .

8- حليمي عبد القادر : مدينة الجزائر نشأتها و تطورها قبل 1830م دراسة في جغرافية المدن ، المطبعة العربية لدار الفكر الإسلامي ، الجزائر، 1972 .

9- حليوي أحمد عبد السلام : المؤرخون التونسيون في القرون السابع عشر و الثامن عشر و التاسع عشر، (د.ط) ، بيت الحكمة ، تونس ، 1993 .

10-خوائد مسعود : الموسوعة التاريخية ، ج2 ، الشركة العالمية للمسموعات ، بيروت ، 2004 .

11-خوجة محمد : تاريخ المعالم التوحيد القديم و الجديد ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ،1985.

12-زبيري محمد العربي : التجارة الخارجية للشرق الجزائري في الفترة الممتدة مابين(1792-1830) ، ط2 ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر، 1984 .

13-سرور الصادق : كتاب جغرافية القطر التونسي ، ط2 ، المطبعة التونسية ، تونس ، 1938.

14-سعد الله قاسم : تاريخ الجزائر الثقافي(1500-1830) ، ج1، ط1 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1998.

15-سعد الله قاسم : تاريخ الجزائر الثقافي(1500-1830) ، ج2 ، ط1 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1998.

16-سعيدوني ناصر و مهدي عبدلي : الجزائر خلال العهد العثماني ، الشركة الوطنية للكتاب ، الجزائر، 1984.

17-شبهي عبد العزيز: الزوايا و الغرابة و الإحتلال الفرنسي في الجزائر، (د.ط) ، الجزائر،2007 .

18-شريل كمال موريس : الموسوعة الجغرافية للوطن العربي ، ط1، دار الجيل، بيروت ، 1998.

19-صلابي علي محمد : صفحات من تاريخ الإسلامي في الشمال الإفريقي(دولة الموحدين) ، دار البيارق للنشر، دائرة المكتبة الوطنية ، عمان ، 1998.

20-طمار محمد : الروابط الثقافية بين الجزائر و الخارج ،(ش.و.ن.ت) ، الجزائر،1983.

21-عاصي حسن : التفسير القرآني و اللغة الصوفية في فلسفة إبن سينا، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع ، 1982.

22-عجيلي التليلي: الطرق الصوفية و الإستعمار الفرنسي بالبلاد التونسية(1881-1939) ، منشورات الأزهري ، تونس ،1992 .

23-عروي عبد الله : المغرب العربي(نظرة مستقبلية) ، وزارة الخارجية العربية ، الإمارات العربية المتحدة ، 1984/1983 .

24-عقاب محمد الطيب: قصور مدينة الجزائر أواخر العهد العثماني ، ط1 ، دار الحكمة، الجزائر،2000 .

25-فكري أحمد: المسجد الجامع القيروان ، مطبعة المعارف و مكتبتها بمصر، 1939.

26-فيلالي محمد مختار: نشأة المرابطين و الطرق الصوفية و أثرها في الجزائر خلال العهد العثماني ، ط1 ، دار الفن القرافيكي للطباعة و النشر، الجزائر، (د.س.ن).

27-فيلالي مصطفى: المغرب العربي الكبير نداء المستقبل ، مركز الدراسات ، الوحدة العربية ، بيروت ، 1839 .

28-قحطاني سعيد بن مسفرين : الشيخ غبد القادر الجيلاني و أراؤه الإعتقادية الصوفية ، ط1 ، فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر، رياض ، 1997.

29-قفصي عبد الكريم: نظرة حول بعض الحرفين و المهنين و الأندلسين و الأتراك ، الحياة الإجتماعية في الولايات العربية أثناء العهد العثماني ، منشورات مركز الدراسات و البحوث العثمانية و الموريسكية ، مطبعة التركية الوطنية لفنون الرسم ، تونس ،1989.

30-محفوظ محمد : تراجم المؤلفين التونسين ، ج2 ، ط1 ، دار الغرب الإسلامي، بيروت ، 1982.

31-محمد حسن: الفقراء و الزوايا بوسط إفريقيا من أواسط ق6هـ إلى نهاية ق8هـ ضمن المعنيون في تاريخ تونس الإجتماعي ، بيت الحكم ، قرطاج ،1999 .

32-مدني أحمد التوفيق: هذه هي الجزائر، دار البصائر، الجزائر،2009.

33-مريوش أحمد: الحياة الثقافية في الجزائر خلال العهد العثماني، سلسلة المشاريع الوطنية للدراسات و البحث في الحركة الوطنية و ثورة أول نوفمبر1954 ، الجزائر.

34-نواب عواطف محمد يوسف : الرحلات المغاربية و الأندلسية مصدر من مصادر تاريخ الحجاز في القرنين السابع و الثامن هجريين ، (د.ط) ، مكتبة الملك فهد ، الرياض،1417هـ .

35-نور الدين عبد القادر: صفحات من تاريخ مدينة الجزائر من أقدم العصور إلى إنهاء العهد التركي، ط2 ، مطبعة البعث ، قسنطينة ، 1956 .

36-نويهض عادل: معجم الأعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، ط2 ، مؤسسة نويهض لتأليف و الترجمة و النشر، بيروت ، 1980.

37-هلال همار: الطرق الصوفية و نشر الإسلام و الثقافة العربية بإفريقيا السمراء ، مطبعة الجيش ، الجزائر،2007.

ثالثاً: الرسائل الجامعية

1- حماش خليفة إبراهيم ، العلاقات بين إيالة الجزائر و الباب العالي من سنة (1798/1830م) ، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث و المعاصر، غير منشورة، إشراف خليل عبد الحميد عبد العال ، كلية الأدب،قسم التاريخ ، جامعة الإسكندرية ، 1408هـ/1988م .

2- ليلى غويتي ، التفاعل الثقافي بين دول المغرب في العهد العثماني من خلال الرحلات الحجازية الجزائرية ، مذكرة ماجستير في التاريخ ، إشراف عائشة غطاس ، جامعة الجزائر ، معهد التاريخ ، 2011/2010م.

رابعاً: المجلات

1- أرزقي شويتام ، العلاقات الثقافية الجزائرية المغاربية (الفترة العثمانية) ، مجلة الدراسات التاريخية، العدد 13، جامعة الجزائر، 1433هـ/2011م.

2- عبد الجليل التميمي ، "أول رسالة من أهالي مدينة الجزائر إلى السلطان سليم الأول 1519"، المجلة التاريخية المغاربية ، العدد5-6 ، تونس ، 1976.